بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

يشرف على تحريرها

الأستاذ الدكتور
جابر السيد مبارك
عميد الكلية

الأستاذ الدكتور
هلال عطاالله عثمان
وكيل الكلية

مجلة علمية محكمة

العدد الثامن عشر

الجزء الثالث

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

الإشراف العام :

(١) أ.د/ جابر السيد مبارك

عميد الكلية ورئيس التحرير.

(٢) أ.د/ هلال عطا الله عثمان

وكيل الكلية ونائب رئيس التحرير.

أعضاء التحرير:

(١) أ.د/ إبراهيم عبد الفتاح حليبة.

أستاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه.

(٢) أ.د/ الرفاعي محمد الرفاعي

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلومه.

(٣) أ.د/ عبد المجيد عبد المجيد هنداوي.

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد.

(٤) أ.د/ فرحانة علي محمد شويته

أستاذ مساعد ورئيس قسم أصول الفقه.

نظرات

فى حياة الخازن وتفسيره المسمى

لباب التأويل فى معانى التنزيل

دكتورة

سهام فاروق محمد عمر

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل علينا كتابا فيه نبأ من قبلنا ، وخبر من بعدنا ، وحكم ما بيننا ، وهو الفصل وليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو الذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تَلتبس به الألسن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم .

وصل اللهم وسلم على المبعوث رحمة للعالمين الذى جاءنا بالهدى والنور المبين ، فما زال بالبشرية حتى أقامها على المحجة البيضاء ، وخلصها من سبل الغواية ، وطرق الضلاله ، وعلى آله وأصحابه الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن أشرف العلوم وأعلاها منزلة تلك التى تخدم كتاب الله - ﷻ - ؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم .

ولقد توالى الاهتمام بالقرآن الكريم على مر العصور منذ نزوله إلى يومنا هذا فبرزت إلى الوجود علوم مختلفة منها ما يتعلق بأسباب النزول ، أو بمعرفة المكى والمدنى ، أو الناسخ والمنسوخ ، ومن أشهر وأعظم تلك العلوم ما كان جامعاً لعلوم القرآن قاطبة وهو علم التفسير الذى لم يخل عصر من العصور من الباحثين فيه والدارسين له ، وقد اهتم علماء المسلمين به ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب الكريم علوماً جمة وآفاقاً رحبة فى جميع مااهتدوا إليه من وجوه الإعجاز القرآنى ، والدراسات المستفيضة حول معانى القرآن ، ومن هؤلاء الإمام علاء الدين على بن

محمد بن ابراهيم البغدادى الملقب بالخازن فى تفسيره (لباب التأويل فى معانى التنزيل) ، وهذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوى ، وضم إليه ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس فيه – كما يقول – سوى النقل والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب.(١)

وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات ، أولها فى القاهرة عام ١٢٨٧ هـ ، ثم توالت طبعاته فى القاهرة أيضا عام ١٢٩٨ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٨ ، ١٣٢٨ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٨ هـ ، وطبع مرة فى بولاق ، ومرة فى بيروت .

وهو الآن مطبوع فى دار الكتب العلمية ومعه تفسير البغوى فى ستة أجزاء ضبط وتصحيح ، عبد السلام محمد على شاهين ، وطبعة أخرى لدار الكتب العلمية ، وطبعة لدار المعرفة ، وطبعة لمصطفى البابى الحلبى ، وكلها فى أربع مجلدات ، وطبعة دار الفكر بهامشه فيها تفسير النسفى ، فى أربع مجلدات ، وكلها خالية من التحقيق العلمى ، ومازالت بعض أجزائه تحتاج إلى توثيق .

** **ومن الأسباب التى دعتنى لدراسة حياة المؤلف – رحمه الله – ودراسة منهجه فى تأليف الكتاب :**

١ – أن هذا الكتاب ذو قيمة علمية فى تفسير القرآن الكريم بالمأثور .

٢ – أن الكثيرين من الباحثين حديثاً اتجهوا إلى تحقيق أجزاء من هذا التفسير الذى لم يكن محققاً إلى وقت قريب .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون ١ / ٢٢١ ، د . محمد حسين الذهبى . طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

لذا ، وبعد استخارة الله ﷻ رغبت فى أن أسهم مع من سبقنى فى التعريف بهذا التفسير وبمؤلفه حتى يتسنى لكل من يريد الاستفادة منه .

وختاماً : أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، وأن يعفو عن التقصير والخطأ والزلل إنه على كل شئ قدير .

د . سهام فاروق محمد عمر

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

الفصل الأول

دراسة حياة المؤلف وعصره

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عصر المؤلف وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية . وأثرها فى حياة المؤلف العلمية

المطلب الثانى : الحالة الاجتماعية . وأثرها فى حياة المؤلف العلمية.

المطلب الثالث : الحالة العلمية . وأثرها فى حياة المؤلف العلمية .

المبحث الثانى : حياة المؤلف الشخصية

اسمه ونسبه وكنيته ، لقبه ونسبته ، مولده ونشأته ، عقيدته ومذهبه .

المبحث الثالث : حياة المؤلف العلمية .

شيوخه ، تلامذته ، مؤلفاته العلمية ، أقوال العلماء فيه ، وفاته .

المبحث الأول
عصر المؤلف ، وأثره فى حياته العلمية

المطلب الأول : الحالة السياسية وأثرها فى حياة المؤلف العلمية

ابتلى العالم الإسلامى بنكبة وحادث زلزل كيانه شرقاً وغرباً بسقوط بغداد حاضرة العالم الإسلامى على أيدى التتار عام (٦٥٦ هـ) بقيادة هولاكو [١] ، وقتل الخليفة آنذاك المعتصم بالله[٢]، وأريقت دماء الأبرياء وضربت أعناق العلماء والفقهاء، واستمر القتل والنهب فى بغداد بضعة وثلاثين يوماً، ثم أمر هولاكو بعدّ القتلى فبلغ ألف ألف وثمانمائة ألف وكسراً . [٣]

وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد ، وخُربت بغداد الخراب العظيم وأحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت فى الدنيا ، قيل : أنهم بنوا بها جسراً من الطين والماء عوضاً عن الآجر [٤] ، وقيل غير ذلك . [٥]

---

(١) هو هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان ، ملك التتار ، وقد كان هولاكو ملكاً جباراً فاجراً كافراً قتل من المسلمين شرقاً وغرباً مالا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم ، توفى سنة ٦٦٤ . انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٤٨ .

(٢) هو المعتصم بالله أبو أحمد عبد الله أمير المؤمنين المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد وهو الخليفة الشهيد الذى قتله التتار بأمر هولاكو سنة ٦٥٦ انظر البداية والنهاية ١٣ / ١٦٠ .

(٣) انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٠٢ ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء ، بدون طبعة ، مكتبة دار المعارف ، بيروت .

(٤) هو طبيخ الطين : انظر لسان العرب ٤ / ١١ ، محمد بن مكرم بن منظور الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت .

(٥) انظر النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٧ / ٥١ ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، الطبعة بدون ، وزارة الثقافة ، مصر .

هذا الحادث الجلل غير وجه التاريخ الإسلامى ، وأيقظ المسلمين من سباتهم العميق ، فأيقنوا أن لا يسلموا أمرهم للحكام دون مناقشتهم فيما يأتون من الأحكام الجائزة واللهو ، كل ذلك هو الذى أطمع عدوهم ، وكان سبباً فى كسر شوكتهم ، فبدأ العلماء يعرفون موقفهم من الحكام ، فلم يتهاونوا لهم فى حقوق الأمة . (١)

ومن يقرأ كتب التاريخ يرى مواقف مشرفة وقفها العلماء أمام الحكام حتى هابوهم وأخذوا بإرشاداتهم فيما يحكمون .

هذا . . وإن كان سابقاً لمولد الخازن - رحمه الله - بكثير . الذى عاش مابين سنة (٦٧٨ - ٧٤١ هـ) أى منذ نهاية القرن السابع حتى منتصف القرن الثامن الهجرى ، إلا أن هذا الحدث غير وجه التاريخ الإسلامى ، وأيقظ المسلمين من غفلتهم الطويلة .

وهذه الفترة الزمنية التى عاش فيها الخازن أطلق عليها المؤرخون عصر المماليك .

ويعد عصر المماليك من عصور التاريخ الإسلامى ، التى مازالت آثاره المادية والروحية باقية إلى اليوم ، فالدولة المملوكية التى امتدت قرابة قرنين ونصف ، كانت من أغنى الدول بسلاطينها ، وحكامها الأقوياء ، الذين ابتنوا امبراطورية شاسعة الأرجاء ممتدة الأطراف ، قضت على المغول ، ووقفت فى وجه الصليبيين ، وانتقل فى عهدها مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة ، ونظمت الدواوين ، وحددت الاختصاصات لكبار الموظفين ،

---

(١) انظر ابن قيم الجوزية - عصره ومنهجه وآراؤه فى الفقه والعقائد والتصوف - ص ١٢ : ١٤ ، عبد العظيم عبد السلام شرف الدين - الطبعة الثالثة ، دار القلم ، الكويت ١٤٠٥ هـ .

وأسست أول جيش ثابت فى مصر فى العصور السابقة . (١)

والمتتبع لعصر المماليك يلاحظ أن هذه الدولة كانت دولة حربية قوية ، اكتسبت هذه الميزة من السلاطين الذين تولوا الأمور فى بداية تكوينها ، وظهر منهم من لم يعط للأعداء أية فرصة للمراوغة والهجوم ، أمثال المظفر قطز (٢) والظاهر بيبرس .

وكان التنافس بين أمراء المماليك واضحاً فى هذه الفترة ولذلك تميز العصر بعدم الاستقرار السياسي ، على الرغم من أن تولى الحكم فى عهد المماليك لم يكن وراثياً ، وإنما بالمغالبة ، يفوز به من تميز بالقوة ، كل هذا يدل على مدى الفتن والحروب الداخلية التى كانت تعصف بدولة المماليك فى تلك الفترة .

وخلال الثلاثة وستين عاماً التى عاشها الخازن انتقل الحكم إلى عدة سلاطين تكرر تولى البعض وعودته مرة بعد مرة إلى الحكم . (٣)

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف " بالخطط المقريزية " ٢ / ٢٣٦ ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧ م .

(٢) هو المظفر قطز : قطز بن عبد الله المُعزّى ، ثالث الترك المماليك ، كان مملوكاً للمعز التركمانى ، وترقى فى وظائفه ، علت منزلته وترقى ، حتى خلع المنصور وتولى السلطة مكانه سنة ٦٥٧ هـ ، قاتل التتار فى عين جالوت ، ظفر بهم سنة ٦٥٨ هـ . قتل غدراً وهو فى طريقه إلى مصر فى نفس السنة . انظر فوات الوفيات والذيل عليها ٣ / ٢٠١ ، محمد شاكر الكتبى ، تحقيق د . إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، والنجوم الزاهرة ٧ / ٧٢ .

(٣) سنذكرهم هنا بالترتيب وهم : السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بن بركه خان بيبرس (٦٧٨ هـ) . السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس (٦٧٨ هـ) . السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى (٦٧٩ هـ) . السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون

والفترة التى عاشها الخازن – رحمه الله – كان معظمها فى حكم الناصر (محمد بن قلاوون) [١] وتعتبر من أزهى عصور دولة المماليك الإسلامية ، واتسمت بكثرة الفتوحات ، وإقامة راية الجهاد فى سبيل الله ضد الصليبيين وغيرهم . وامتدت سلطنته من المغرب غرباً حتى الشام والحجاز شرقا، ومن النوبة – فى الحبشة – جنوباً حتى آسيا الصغرى شمالاً . مما هيأ استقرار الوضع العلمى ، والحرص على طلب العلم ، والتنافس فى نشره بين الناس . [٢]

ومما نلاحظه على تلك الفترة وإن كان قليلاً نسبياً ، ظهور الحرية الفكرية ، وقد ظهر أثر ذلك فى الأبحاث العلمية ، فنجد بعض العلماء يهاجمون التقليد ، ويدعون إلى الاجتهاد ، وينتقدون التعصب لمذهب من المذاهب دون تبصر أو روية ، أو مناقشة موضوعية للمذاهب الأخرى ، والاستناد إلى الأدلة المعتبرة .

(٦٨٩ هـ) . السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (سلكنة أولى) (٦٩٣ هـ) السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى (٦٩٤ هـ) . السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى (٦٩٦ هـ) . السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون (سلطنة ثانية) (٦٩٨ هـ) . السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير (٧٠٧ هـ) . السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (سلطنة ثالثة) (٧٠٩ هـ) ز السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١) . انظر بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ٣٤٨ – ٤٨٦ ، محمد بن أحمد إياس الحنفى ، حققها وكتب لها المقدمة ، محمد مصطفى ، طبعة ثانية مصورة عن الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ .

(١) هو : من أشهر سلاطين المماليك وأكثرهم قوة وآثاراً وأطولهم مدة فى الحكم ، توفى سنة ٧٤١ هـ ، انظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٩٠ .

(٢) انظر : بدائع الزهور ١ / ٤٨٦ .

ولعل خير من يمثل حرية الفكر لذلك العهد ابن تيمية وابن القيم اللذان كلفتهما هذه الحرية بنوعيها السياسى والفكرى عناءً كبيراً فـــى حياتهمـــا ، فأصيب ابن تيمية بكثير من الأذى والطرد والسجن ، وكذلك تلميذه ابن القيم تعرض لكثير من الأذى والتضييق والعنف . (١)

وقد ظهر أثر هذه الحرية السياسية فى أبحاث الخازن المتعلقة بالجهاد مثلا ، فهو – رحمه الله – وإن لم يجمع بين القول والفعل كـــابن تيميـــة – رحمه الله – (٢) إلا أنه جاهد بسلاح القلم ، فقد ذكر الجهاد وحكمـــه فـــى تفسيره مرات عديدة وحث عليها ، ويتضح ذلك بالرجوع إلى تفسيره .

وكذلك ظهر أثر الحرية الفكرية فى تفسيره فى مجال الأحكام الفقهية فهو يحاول كثيراً أن لا يتعصب لمذهب – وإن كان شـــافعى المـــذهب – إلا أنه لا يرجح مذهبه إلا بالأدلة القاطعة والمناقشـــة الموضـــوعية ، وإن رأى أن الحق فى خلاف مذهبه جانب مذهبه وناصر مايرى أنه الحق . (٣)

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية ص ٤١ .

(٢) عندما خرج ابن تيمية مع الجيش فى (المرج) يحرض المقاتلين ويرغبهم فى الجهـــاد ضد التتار . انظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٦ .

(٣) انظر : الخازن ومنهجه فى التفسير ، يحيى بن علـــى فقيهـــى ص ٢٢ : ٢٣ رســـالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إشراف د . محمود بســـيونى فـــوده ١٤٠٤ هـــ .

المطلب الثانى
الحالة الاجتماعية وأثرها فى حياة المؤلف العلمية

إن الحروب الخارجية والداخلية التى كانت فى عصر المماليك أثرت تأثيراً كبيراً على البلاد [١] ، فمن أبرز آثارها السلبية ، خسائر فى الأموال والممتلكات ودمار المدن كاملة ، مما أدى إلى خلل اقتصادى ، وتعطيل صناعى ، وتضييع زراعى ، واختلال أمن ، وإشاعة السلب والنهب ، وانشغال الدولة بالحروب أكثر من حرصها على أمن الناس . وبعض الحكام كان يصادر الممتلكات لأجل الحروب ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار ، وعجز الناس عن الحصول على ضرورياتهم . [٢]

ومما كان له عظيم الخطر وبالغ الأثر فى التفرق والتمزق ما شاع فى ذلك العصر من الخلافات المذهبية ، وما يتسبب عنها من القلق والاضرابات فى المجتمع .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك ، ما وقع من الاختلاف من أهل السنة والرافضة مما أدى إلى اندلاع الحرب بينهم وكانت نتيجة الحرب انتصار أهل السنة وهزيمة الرافضة ، قال ابن كثير – رحمه الله – : " وقعت ببغداد فتنة عظيمة بين الرافضة وأهل السنة فنهب الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمى [٣] ، فهذا بدوره حقد على أهل السنة وأدى به حقده هذا إلى ممالأته التتار فكان أن دبر للإسلام وأهله مكيدة عظيمة لم يؤرخ مثلها منذ أنشئت بغداد ، فهو الذى أشار على هولاكو بعدم الصلح مع الخليفة المعتصم ،

---

(١) انظر الغزو الصليبى والعالم الإسلامى د . على عبد الحليم محمود ص ٢٣٠ – ٢٣٢ ، الطبعة الثانية ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الرياض ، الدمام ١٤٠٢ هـ .

(٢) انظر : الخطط المقريزية ١ / ١٢٤ .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن على بن أبى طالب الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمى وزير المستعصم البغدادى ، وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين توفى سنة ٦٥٦ هـ – انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢١٢ .

وكذلك أشار بقتله فحاك للتتار خيوط المؤامرة ، وحبب إليهم أخذ هـذه الـبلاد ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعاً منه فى أن يزول أهل السنة بالكلية والله متم نوره ولو كره الكافرون " . (١)

ومن سمات ذلك العصر أيضا ركون بعض العلماء ، ولجوؤهم إلـى التأليف ، واعتبارهم ذلك وسيلة للجهاد بـالقلم . كمـا أن إنفـاق الحكـام والسلاطين ، ووقف الأوقاف على هذه الخوانق (٢) ، جعـل المتصـوفين يميلون إلى التواكل وعدم التكسب وطلب الرزق والاكتفاء بالقليل .

وفى ظل هذه الأوضاع الاجتماعية والحيـاة التـى يسـودها القلـق الاجتماعى والاضطراب والتنافر إلى جانب الاضرابات الخارجية التى تهدد بالقضاء على كيان الأمة . ودمار جهاز الدولة ، نجد أن العلماء هبوا لنبـذ الفرقة والشقاق ، وكان من ضمنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قـيم الجوزية – رحمهما الله – (٣) .

فى هذا الطريق سار الخازن – رحمه الله – فهو وإن لـم يـذكر ذلـك باللسان فهو قد أشار إليه بالقلم ، وقد ظهر ذلك فى تفسيره حيث دعى فى بعض أجزائه إلى الاتحاد والتمسك بكتاب الله وسنة رسـوله ﷺ ، ونبـذ الاخـتلاف والفرقة كل ذلك ذكره على شكل فصول فى كتابه رحمه الله ، كما دعى لتأييـد أهل السنة ، ورد الفرقة المناوئة كالرافضة والمعتزلة والقدرية . (٤)

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٣ / ١٩٦ – ٢٠٢ .

(٢) جمع خانقاه : وهى كلمة فارسية معناها بيت . وقيل : أصلها خونقـاه ، أى : الموضـع الذى يأكل فيه الملك . انظر : الخطط المقريزية ٢ / ٣٧٧ .

(٣) انظر : ابن تيمية حياته وعصره – آراؤه وفقهه ص ٦٦ ، محمد أبو زهره ، الطبعة بدون . دار الفكر العربى ١٣٩٠ هـ .

(٤) يعرض بعض الأمثلة من مواقفه . انظر : الخازن ومنهجه فى التفسير ، يحيى فقيهـى ص ٢٨٤ .

المطلب الثالث
الحالة العلمية وأثرها فى حياة المؤلف العلمية

عرف المماليك أن العلم سياج الدولة وعمادها ، فعملوا على تشجيع العلوم ، وقربوا العلماء ، وأجزلوا لهم العطاء ؛ وذلك لأنهم كانوا ينشئون دولة ، فرأوا أن خير ما يضمن لهم البقاء هو تشجيع العلوم والظهور أمام المسلمين بمظهر حماة الدين المدافعين عنه .

وقد ساهم العلماء فى بناء هذه النهضة العلمية . فهبوا لإحياء العلوم بعد النكبة التى قضت على التراث العلمى يوم سقطت بغداد . وذهب ضحيتها كثير من العلماء والعديد من الكتب القيمة . من هذا نرى أن الأسباب توافرت على نهضة علمية آتت ثمارها فزخرفت المكتبة العربية بثمار فكرية فى الدراسة المتنوعة فالعلم ينهض فى ظل حكام مخلصين له مشجعين عليه ، وعلى يد علماء متوفرين على البحث مقبلين عليه ، وهذا ما حدث فى هذه الفترة من تاريخ المسلمين . (١)

ولقد تميز هذا العصر الذى ولد فيه الخازن بكثرة مؤلفاته العلمية ، فلقد أنتج هذا العصر آلاف الكتب والرسائل واشتهر كثير من رجال هذا العصر بكثرة التأليف ، فابن تيمية – رحمه الله – مثلا : زادت مؤلفاته على خمسمائة ، وابن حجر العسقلانى – رحمه الله – زادت مؤلفاته على مائة وخمسين مؤلفا .

وكثرت المنظومات العلمية وقد اشتهرت منها ألفية الحافظ العراقى فى علوم الحديث ، وألفية ابن مالك فى النحو وغيرها من المؤلفات فى شتى أنواع العلوم .

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية ص ٤٢ .

وقد كثرت المجالات التعليمية فى ذلك العصر الذى عاش فيه الخازن ، وتعددت أنواعها وأشكالها ، فهناك المساجد التى يلقى فيها العلماء دروسهم المتخصصة فى جميع أنواع العلوم مثل : جامع عمرو بن العاص ، والجامع الأزهر . بالإضافة إلى كثرة المدارس الموجودة فى كل من مصر والشام ، والتى يقصدها الطلاب لأجل الدراسة والعلم مثل : المدرسة الظاهرية بدمشق ، والمدرسة المنصورية بمصر .

وكذلك وجدت الخوانق والربط [١] التى كان يقيم فيها جماعة المتصوفة الذين ينقطعون فيها للعبادة ، وتجرى عليهم الأرزاق من أوقافها الموجودة آنذاك ، مثل خانقاه ركن الدين بيبرس ، ورباط البغدادية . [٢]

وكان من ميزات السلاطين المماليك احترام العلماء وتقديرهم وإجلال مواقفهم ، والوقوف على ما أراده العلماء منهم ومن أمثلة ذلك :

أن الظاهر بيبرس كان خاضعاً لكلمة الإمام عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله - ، ولا يستطيع الخروج عن رأيه حتى إنه لما مات قال : " ما استقر ملكى إلا الآن " . [٣]

وعندما حدثت الفتنة بين الملك " كتبغا " والملك " لاجين " فى الفترة التى خلع فيها السلطان قلاوون ، حضر القاضى بدر الدين بن جماعة وبقية القضاة ، وطلبوا الملك العادل " كتبغا " ، فحضر وقرءوا عليه مراسيم

---

(١) جمع رباط : والرباط فى الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل وإعدادها ، والرباط : مصدر رابطت ، أى : لازمت ، وهو رسم لما يربط به الشىء ، وهو الذى يربط نفسه عن الدنيا . انظر : لسان العرب ٧ / ٣٠٣ .

(٢) انظر : الخطط المقريزية ٢ / ٣٧٧ - ٣٩٠ باختصار .

(٣) انظر : ابن قيم الجوزية ص ١٤ .

السلطان الجديد " لاجين " بأن يخلع نفسه من السلطنة ويتوجه إلى صرخد [١] ، ويقين بها ، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية سنة وعشرة أشهر إلا أياماً ، ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملكه ثانية ، فأنعم على الملك كتبغا بمملكة حماة وأعمالها . [٢]

ولقد حاول سلاطين تلك الفترة تقريب العلماء ، وصرف المكافآت المجزية للقضاة والمدرسين ، وخاصة المدارس المشهورة في حواضر العالم الإسلامي ، مثل : المدرسة الصالحية ، والمدرسة المنصورية ، والمدرسة الجوزية وغيرها [٣] ، التي أوقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وألقيت فيها الدروس المنتظمة ، ووفد إليها طلاب العلم من كل مكان .

ولقد عاصر المؤلف – رحمه الله – كبار العلماء الذين فاضت بأخبارهم ومواقفهم المشهودة وعلومهم الجامعة كتب التراجم . [٤]

وكان للحروب الصليبية أكبر الأثر في إذكاء العواطف الدينية ، ودفع حركة التأليف ، فنشط العلماء للرد على اليهود والنصارى ، وبيان تحريفهم ، فهذا ابن تيمية – رحمه الله – يؤلف : " الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح " ، وهذا قيم الجوزية – رحمه الله – يؤلف كتاب : " هداية الحيارى من اليهود والنصارى " .

---

(١) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة ، وولاية حسنة واسعة . انظر : معجم البلدان ٣ / ٤٠١ ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢) انظر : بدائع الزهور ١ / ٣٩٢ .

(٣) انظر : الخطط المقريزية ٢ / ٣٧٧ – ٣٨٧ .

(٤) مثل : ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، وابن كثير ، وبدر الدين بن جماعة ، والمزي ، والذهبي ، وغيرهم – رحمهم الله – . انظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٨ ، ٥٨ .

كما فتحت انتصارات الحكام فى الغزوات الخارجية مجال التأليف فى مدح هؤلاء الحكام ، ووصف الحروب ، فانتشرت الكتابة فى شتى المجالات ، وقويت حركة التأليف فى كل فن ، كالأدب والدين ، تحريضاً على الجهاد . (١)

ولا ننسى ما الفه الشيخ الخازن – رحمه الله – من مؤلفات قيمة فى التفسير والحديث والفقه والسيرة (٢) . وهو نتاج ما خلفته النهضة العلمية من الأثر الكبير على عقلية الخازن وفكره وذلك ما دفعه إلى التأليف ، وطلب العلم متنقلاً بين دمشق وبغداد وحلب .

(١) انظر : الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

(٢) انظر : مؤلفاته العلمية ص ٣٢ من هذا البحث .

المبحث الثانى
حياته الشخصية

لم يتوسع كثير من المؤرخين فى ذكر ترجمته ، حتى الكتب والمصادر التى ترجمت للخازن - رحمه الله - قليلة وغير مستفيضة ، مما أدعى إلى غياب كثير من المعلومات عنه .

اسمه ونسبه وكنيته :

اتفقت المصادر على نسب المؤلف على أنه على بن محمد بن ابراهيم [١] بن عمر بن خليل [٢] ، علاء الدين . [٣]

---

(١) انظر : تاريخ علماء بغداد المسمى : منتخب الأخبار ص ١٥١ ، أبو المعالى محمد بن رافع السلامى ، صححه وعلق حواشيه : عباس العزازى ، طبعة : الأهالى . بغداد ١٣٥٧ هـ .
وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضى شهبة ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، ابن العماد ، عبد الحى بن أحمد بن محمد العسكرى الحنبلى ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير . دمشق ١٤٠٦ هـ .
وطبقات المفسرين للأدنه وى ص ٢٦٧ ، أحمد بن محمد الأدنه وى ، تحقيق : سليمان ابن صالح الحربى ، الطبعة الأولى ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ١٤١٧ هـ .
والأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ٥ / ٥ ، خير الدين الزركلى ، الطبعة الخامسة عشر ، دار العلم للملايين ، بيروت ٢٠٠٢ م .

(٢) انظر : طبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ، راجعه : مكتبة عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة . الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ . والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٤ / ١١٦ ، أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقق ومراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، الطبعة الثانية ، مجلس دائرة المعارف / حيدر أباد ١٣٩٢ هـ . ومعجم المؤلفين ص ١٧٧ - ١٧٦٨ ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، وضع عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى .

(٣) انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ ، محمد بن رافع السلامى ، أبو المعالى ، تحقيق : صالح مهدى عباس ، د . بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٤٠٢ هـ . وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٦ ، وطبقات

يكنى : أبو الحسن . [١]

غير أن الأدنة وى فى طبقات المفسرين نقل كلاماً فى نسبه وكنيته ، وذكر فى أسامى الكتب : محمد بن إبراهيم زين الدين البغدادى الصوفى المعرّقف بالخازن ، وقال فى موضع آخر : على بن محمد بن ابراهيم البغدادى أبو محمد . [٢]

أيضا جاء فى الصفحة الأخيرة من مخطوطة محفوظة فى قسم المخطوطات فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ومصورة من المكتبة الوطنية بباريس فى فرنسا [٣] أن كنيته أبو محمد ، واسمه : على بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن .

نسبته ولقبه :

الشيْحي [٤] – بمعجمة مكسورة ، بعدها مثناة من تحت ساكنة ، ثم حاء

المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وكشف الظنون ٢ / ١٧٩٢ ، مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى ، الطبعة بدون . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣ هـ . وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وطبقات المفسرين للأدنة وى ص ٢٦٧ ، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١ / ٧١٨ ، إسماعيل باشا البغدادى ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية . استانبول ١٩٥١ ، ومنتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ ، محمد أديب آل تقى الدين الحصنى ، قدم له : د . كمال سليمان الصليبى ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٣٩٩ هـ .

(١) انظر : تاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ – ١٩٣ ، والوفيات ١ / ٣٧١ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٦ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ص ١٧٧ – ١٧٨ ، ومنتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ .

(٢) انظر : طبقات المفسرين للأدنة وي ص ٢٦٧ – ٢٧٥ .

(٣) رقم حفظ الميكروفيلم (٦٤١) الصفحة الأخيرة ص ٧١٦ اسم الناسخ د. حسين كريم الدين .

(٤) انظر : الدرر الكامنة ٤ / ١١٦ ، وكشف الظنون ٢ / ١٧٩٢ ، والتفسير والمفسرون د . محمد حسين الذهبى ١ / ٢٢٠ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ ، ومعجم المؤلفين ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، والأعلام ٥ / ٥ ، وقال فى هدية العارفين وطبقات المفسرين للداودى (الشيخى) ، ولعل هذا خطأ من الطباعة ، والصحيح ما أثبته لإجماع المترجمين له .

مهملة – نسبة إلى شيحة من أعمال حلب [١] ، وهذه القرية يقال لها : سيح الحديد [٢] . وهذه القرية لها تاريخ عريق فى تخريج العلماء الأفذاذ غير الخازن . [٣]

وفى معجم المؤرخين : الشيحي الأصل . [٤]

البغدادى : [٥] لأن مولده ونشأته الأولى بها . [٦]

الدمشقى : لأنه انتقل إليها . [٧]

الصوفى : ربما اشتهر بالصوفى لتسلمه خزانة كتب الدار السمسياطية

---

(١) انظر : تاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ – ١٩٣ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٦ وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، والأعلام ٥ / ٥ ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ص ١٤٧ ، د . صلاح المنجد ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

(٢) انظر : معجم البلدان ٣ / ٣٧٩ .

(٣) يقول ياقوت الحموى : " وقد نسب إليها بعض الأعيان " ، ويقول الحافظ البغدادى : " نسب إليها عبد المحسن الشيحى المعروف بابن شهد انكة " . وقال السمعانى : " ينسب إليها عبد المحسن بن محمد بن على بن أحمد بن منصور الناجى الشيحى البغدادى " ومنها يوسف ابن اسباط . انظر : معجم البلدان ٣ / ٣٧٩ .

(٤) والمنجد بقوله يكون مخالفاً لإجماع من ترجموا له بأن مولده كان ببغداد . انظر : معجم المؤرخين الدمشقيين ص ١٤٧ .

(٥) انظر الوفيات ١ / ٣٧١ ، وتاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ – ١٩٣ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وكشف الظنون ٢ / ١٧٩٢ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ .

(٦) انظر : طبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ .

(٧) عنون له صلاح الدين المنجد بالخازن الدمشقى . انظر : معجم المؤرخين الدمشقيين ص ١٤٧ .

التى أوقفها صاحبها على فقراء الصوفية . [١]

الشافعى [٢] : نسبة لمذهبه الفقهى . [٣]

الخازن[٤]: بالخاء المعجمة، وكسر الزاى بعد الألف، وهذا اللقب – الذى اشتهر وعُرف به– اكتسبه بسبب توليه لخزانة خانقاه السمسياطية[٥] بدمشق[٦].

---

(١) نسبة إلى الطائفة المشهورة . انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ ، وتاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ – ١٩٣ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وطبقات المفسربن للأدنة وي ص ٢٦٧ ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين ص ١٤٧ .

(٢) انظر : شذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ ، ومنتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ .

(٣) هذه النسبة إلى الإمام الشافعى ، فينسب إليها خلق كثير من أتباع مذهبه الفقهى .

(٤) الخازن : يقال لمن كان خازن الكتب والأموال . وقد اشتهر بهذا الاسم : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الخازن الرازى القاضى فقيه الحنفية كان قاضى الرى وفرغانة وهراة . وأبو محمد عبد الله بن محمد الخازن الأصبهانى الشاعر المشهور له مدائح كثيرة فى الصاحب بن عباد . وابن دلف البغدادى الخازن لمكتبة المستنصر ، المتوفى عام ٦٣٧ هـ . وأيضا : اشتهر بابن الخازن الشيخ أبو بكر محمد بن سعيد بن أبى البقاء الموفق بن على بن الخازن النيسابورى ثم البغدادى الصوفى ، المتوفى ٦٤٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٤٤ ، ١٢٥ ، ٣٧٢ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسى ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ هـ . واللباب فى تهذيب الأنساب ١ / ٤١١ ، أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى ، الطبعة بدون ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٥) انظر : كشف الظنون ٢ / ١٥٤٠ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ ، والأعلام ٥ / ٥ .

(٦) الخانقاه السمسياطية : معروفة عند باب الجامع الأموى الشمالى سميت بهذا الاسم نسبة إلى واقفها أبى القاسم السمسياطى . وهذه الدار وقف لايمكن منها إلا مَنْ عُرِف ، يشهد بذلك قصة الصوفية مع الإمام حجة الإسلام الغزالى لما دخل دمشق قصد الخانقاه السمسياطية ليدخل فيها فيمنعه الصوفية من الدخول لعدم معرفتهم به ، فعدل عنها وأقام بزاوية الشيخ نصر إلى أن علم مكانه وعرفت منزلته ، فحضر الصوفية بأسرهم إليه

مولده ونشأته :

ولد الخازن سنة ثمان وسبعين وستمائة هجرية الموافق ١٢٨٠ م ، ببغداد . [١]

ونشأ فى مسقط رأسه بغداد ، وتلقى علومه الأولى فى هذه البلدة العظيمة التى تزخر بالعلم والعلماء ، فعلى الرغم من أن التتار أحرقوا ودمروا كثيراً من المدارس والمبانى والمكتبات قبل ولادة الخازن ، وتوالت هجماتهم أثناء حياته ، فإنه لم يزل فى بغداد علماء أجلاء قضوا حياتهم فى العلم والمعرفة . وقد استفاد الخازن فى فترة صباه من بعضهم .

وبعد تلقيه العلم فى بغداد قدم إلى دمشق ، وأقام بها مدة حياته ، والتقى فيها ببعض العلماء ، وأخذ العلم عنهم [٢] ، واشتغل بخانقاه السمسياطية ، وبحكم توليه خازن الخانقاه السمسياطية صار على درجة عالية من الثقافة ، وكان من أهل العلم واشتغل به كثيراً ، وسمع الحديث ،

واعتذروا له وتلطفوا به إلى أن أدخلوه الخانقاه . انظر : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ١ / ٢٧٨ ، العلامة عبد القادر ابن بدران ، تحقيق : زهير الشاوش ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٥ م . والدارس فى تاريخ المدارس ٢ / ١١٨ ، عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ هـ . والعبر فى خبر من غبر ٢ / ٣٠٠ ، ٣٧٢ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٨٤ م .

(١) انظر : الوفيات ١ / ٣٧٢ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات لمفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ ، والأعلام ٥ / ٥ .

(٢) سيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن شيوخه ص ٢٨ .

واعتكف على القراءة والاطلاع ، وجمع وألف أشياء [١] . وبعد أن مكث الخازن فترة فى دمشق عاد إلى بغداد مسقط رأسه ، وهذا ما أشار إليه ابن رافع السلامى بقوله : " كتبت ترجمته فيمن دخل بغداد " .

وقد رحل الخازن بعد ذلك إلى حلب لتكون مكان وفاته .

عقيدته ومذهبه :

لم أجد فى تفسيره ما يمكن الاعتماد عليه والحكم به على عقيدة المؤلف مما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة سواء فى مبحث الصفات أو فى غيره من المباحث العقدية ، ومن أمثلة ذلك :

عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ . [٣]

أما بالنسبة لما جاء فى نسبة المؤلف بالصوفى ، فليس فيها مايدل على عقيدته :

١ – لأنه يهاجم عقيدة الحلول والاتحاد وهى عقيدة الصوفية فى تفسيره مثل :

أ – قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ . [٤]

ب – قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ

---

(١) سيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن مؤلفاته ص ٣٢ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

(٣) سورة الإسراء : آية ١ .

(٤) سورة المائدة : آية ٧٣ تفسير الخازن ٢ / ٣٠٢ .

قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[١].

٣ – لأنه لا يستخدم مصطلحات الصوفية مثل الأفلاك – الأقطاب – الأبدال – العشق – الباطن – الإشارة ، وهى غائبة فى تفسيره .

وبالنظر لتفسيره وأقوال العلماء والباحثين فيه فنجد أن المؤلف – رحمه الله – ليس على قدم ثابت فى تفسير الأسماء والصفات فتارة يؤول وتارة يثبت . [٢]

فمن ذلك عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [٣] فقد فسر الخازن غضب الله : " هو إرادة الانتقام ممن عصاه " .

وهذا مذهب الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات ويؤولون أكثرها . [٤]

وكان الخازن من فقهاء الشافعية [٥] ، وهو بذلك يكون مخالف لشيوخه ابن الدواليبى وست الوزراء ، وأحمد بن أبى طالب الحجار الذين كانوا حنابلة .

---

(١) سورة المائدة : آية ١٧ تفسير الخازن ٢ / ٢٤٠ .

(٢) انظر : المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات ٣ / ١٠٦٠ ، محمد عبد الرحمن المغراوى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٠ هـ .

(٣) سورة البقرة : آية ٦١ ، وتفسير الخازن ١ / ٨٧ .

(٤) لمزيد من الأمثلة . انظر : الخازن ومنهجه فى التفسير ص ٢٨٦ – ٢٩٩ .

(٥) انظر : الأعلام ٥ / ٥ .

المبحث الثالث
حياته العلمية

أولاً : شيوخه :

لم تتوسع كتب التراجم فى الكتابة عن شيوخه ، ولم يشر هو فى تفسيره إلى أحد منهم ، وهذا ما جمعته ممن ترجموا له ، ولا يبعد أن له شيوخاً غيرهم ، وهم :

١ – وزيرة بنت عمر :

سمع الخازن بدمشق من ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية الدمشقية الحنبلية أم عبد الله ، وتدعى وزيرة بنت القاضى شمس الدين عمر ابن شيخ الحنابلة وجيه الدين ، ولدت سنة ٦٢٤ هـ ، وسمعت من والدها ، ومن شيوخها مسند الشافعى وصحيح البخارى ، وحدثت بدمشق ومصر وحجت مرتين ، وهى آخر من حدث بالمسند بالسماع عالياً وماتت فى ثامن عشر شعبان سنة ٧١٦ هـ . (١)

٢ – شرف الدين الصالحى :

عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن أحمد الصالحى ، المطعم ، السمسار ، سمع الصحيح ، وتفرد وروى الكثير وتكاثر عليه الطلبة ، وكان أمياً عامياً ، مات سنة ٧١٧ هـ ، وقيل : ٧١٩ هـ . (٢)

---

(١) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢ / ٤٦٩ ، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى ، الطبعة : بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، تاريخ النشر : بدون ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٦ ، ٢ / ٢٦٣ ، وشذرات الذهب ٦ / ٤٠ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٣٧ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٤ / ٩٥ ، وتاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ – ١٩٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٤٦٩ ، والدرر الكامنة٤ / ٢٣٩ ، وشذرات الذهب ٦ / ٥٢ .

٣ - بهاء الدين القاسم : [١]

سمع الخازن بدمشق من بهاء الدين القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبـى غالب المظفر ، ولد سنة ٦٢٩ هـ فى شهر صفر ، سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ ، وقد اشتغل بالطب ، وكان يحفـظ كثيـراً مـن الأحاديث والحكايات والأشعار وله نظم ، ثم ترك ذلك ولزم بيتـه لسـماع الحديث وتفرد فى آخر عمره فى أشياء كثيرة وكان سـهلاً فـى التسـميع ووقف آخر عمره داره المعروفة دار حديث ، وكانت وفاته يـوم الإثنـين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ٧٢٣ هـ . [٢]

٤ - ابن الدوليبى :

سمع الخازن ببغداد من الشيخ الصالح العالم العابد الرُحَلَـة المسـند المعمر عفيف الدين ، أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن ابن أبى الحسـين ابن عبد الغفار البغدادى الأرجحى الحنبلـى الخـراط ، المعـروف بـابن الدوليبي ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولـد فـى ربيـع الأول سـنة ٦٣٨ هـ ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية واشتغل بحفـظ الخرقـي ، وكان فاضلاً له باع طويل فى النحو وغيره وله شعر حسن ، وكان حسـن المحاضرة طيب الأخلاق ، وأخذ عنه جمع جم ، وانتهى إليه علو الإسـناد ببغداد ، وكان متديناً حيناً قائماً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان

---

(١) سماه ابن كثير أبو القاسم ، وكناه ابن رافع : أبو محمد . وما أثبته من ابن حجر وأغلب كتب التراجم . انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ ، والبدايـة والنهايـة ١٤ / ١٠٨ ، والـدرر الكامنة ٤ / ٢٧٩ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٤١ ، والدرر الكامنة ٤ / ٢٧٩ ، والـدارس ١ / ٤٣ ، وشذرات الذهب ٦ / ٦١ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ .

صالحاً كثير العبادة والتلاوة ، جاوز التسعين وصار رُحلَة العراق ، وتوفى سنة ثمان وعشرين وسبع مائة . (١)

٥ - أحمد بن أبى طالب الحجاز :

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن ابى طالب بن أبى نعمة بن حسن الصالحى الحجاز بن الشحنة من قرية من قرى وادى بردا بدمشق ولد سنة ٦٢٤ هـ تقريباً بل قبل ذلك ، وعمر مائة عام وسبعة أعوام ، حدث بالصحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق والصالحية وبالقاهرة ومصر وحماة وبعلبك وحمص وغيرها ، وأقبل عليه الحفاظ ، ورحل إليه من البلاد وتزاحموا عليه من سنة ٧١٧ هـ إلى أن مات ، وكان خياطاً ، ثم حجاراً إلى أن أجريت عليه الأموال من بيت المال ، مات بصالحية دمشق سنة ثلاثين وسبعمائة (٢) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤ / ١٤١ ، وتاريخ علماء بغداد ١٨٩ - ١٩٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٣٨٤ ، والدرر الكامنة ٤ / ٥ ، ١١٧ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والوافى بالوفيات ٤ / ٢٣ ، ومن ذيول العبر ص ١٥٦ للذهبى والحسينى ، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب ، راجعه د . صلاح الدين المنجد ، وعبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، التراث العربى ، وذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ١ / ١٦٥ والإمام أبى الطيب التقى الفارسى محمد بن أحمد الحسنى المكى ، تحقيق : محمد صالح ابن عبد العزيز المراد ، الطبعة الأولى ، مركز إحياء التراث الإسلامى : مكة المكرمة ١٤١١ هـ .

(٢) انظر : تاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ - ١٩٣ ، البداية والنهاية ١٤ / ١٥٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٤٢٧ ، وشذرات الذهب ٦ / ٩٣ ، والدرر الكامنة ١ / ١٦٥ - ١٦٦ ، وذيل التقييد ١ / ١٦٥ ، والمقفى الكبير ١ / ٤١٤ ، تقى الدين المقريزى ، تحقيق محمد البعلاوى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٤١١ هـ .

٦ - ابن الثعالبى :

سمع ببغداد من ابن الثعالبى . [١]

ثانياً : تلامذته :

حدث الخازن - رحمه الله - ببعض تأليفه ؛ [٢] ولكن لم نظفر بأسماء من حدثهم ، ولعل الاسم الوحيد الذى يشير إليه هو ما وجدته فى الصفحة الأخيرة من مصورة مخطوطة : " عمدة الطالبين فى شرح الأحاديث النووية " إجازة لأحد تلامذته فى رواية جميع مصنفاته فى السنة التى توفى فيها - رحمه الله - وللأسف لم يكن اسم التلميذ واضحاً ، حيث قال : " وأجازنى لأن أروى عنه جميع مؤلفاته وهى . . . وأنا الفقير إلى الله الغنى أبو حامد محمد على بكر بن محمد . . . الشافعى الصوفى " . [٣]

ثالثاً : مؤلفاته العلمية :

كان الخازن من أهل العلم والتصنيف ، وجمع وألف ، وقال عنه الذهبى : " وقد خلّف كتباً جمة فى فنون مختلفة " [٤] ، ومؤلفاته هى :

---

(١) لم أقف على ترجمة لمن عرف بابن الثعالبى معاصراً للمؤلف . انظر : طبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ .

(٢) انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ .

(٣) انظر : ترجمة الخازن فى الأعلام ٥ / ٥ ، وتوجد فيها صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة ، وعليه إجازته لتلميذه .

(٤) انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والأعلام ٥ / ٥ .

١ - لباب التأويل فى معانى التنزيل : [١]

وقد فسر القرآن الكريم كاملاً ، قدمه بمقدمة تبين منهجه ، وهو معروف (بتفسير الخازن) .

وهذا التفسير هو الذى اشتهر به حتى سمى " تفسير الخازن " . ولقد تعددت تسمياته عند المترجمين له . [٢]

وقد فرغ من تأليفه يوم الأربعاء العاشر من رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة (٧٢٥ هـ) . [٣]

٢ - شرح عمدة الأحكام : للحافظ عبد الغنى (٦٠٠ هـ) . [٤]

---

(١) انظر : الوفيات ١ / ٣٧٢ ، وتاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ - ١٩٣ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٧ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وطبقات المفسرين للأدنة وى ص ٢٦٧ .

(٢) سيأتى لاحقاً فى نسبة الكتاب لمؤلفه ص ٣٢ .

(٣) انظر : كشف الظنون ٢ / ١٥٤٠ .

(٤) وسماه خير الدين الزركلى عدة الأفهام فى شرح عمدة الأحكام (مخطوط) فى فروع الشافعية . انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ ، وتاريخ علماء بغداد ص ١٨٩ - ١٩٣ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ١٧٧ - ١٧٨ ، ومنتخبات دمشق ٢ / ٥٣٦ والأعلام ٥ / ٥ .

قال الكتانى : " وعمدة الأحكام هذا كتاب له خطوة عند العلماء ، وهو كتاب عزّ نظيره ، وهو الذى شرحه الحافظ المجتهد شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، وابن مرزوق الخطيب ، وسراج الدين بن الملقن الشافعى ، والمجد الفيروزآبادى ، وغيرهم " . انظر : كشف الظنون ٢ / ١١٦٤ ، والرسالة المستطرفة فى كتب السنة المشرفة ١ / ١٨٠ ، محمد بن جعفر الكتانى ، تحقيق : محمد المنتصر ، محمد الزمزمى الكتانى ، الطبعة الرابعة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤٠٦ هـ . وهناك كتابان اسمهما عمدة الأحكام فى فروع الشافعية ، مخطوطين ، الأول : للإمام محمد بن أحمد القفال الشاشى المتوفى سنة ٥٠٧ هـ . والآخر : للإمام ابن دقيق العيد الشافعى المتوفى سنة ٧٠٢ هـ . انظر : كشف الظنون ٢ / ١١٦٩ .

٣ - مقبول المنقول من علمى الجدل والأصول :

صنفه فى عشر مجلدات جمع فيه بين مسندى الإمامين الشافعى وأحمد - رحمهما الله - والكتب الستة والموطأ وسنن الدار قطنى فصارت عشرة كتب ، ورتبها على الأبواب .

وقد ذكر بعض العلماء أنه أضاف إلى جامع الأصول سنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد وسنن الدار قطنى وسماه " مقبول المنقول " . (١)

٤ - الروض والحدائق فى تهذيب سيرة خير الخلائق (٢) :

محمد المصطفى سيد أهل الصدق والوفا .

فى أربعة مجلدات . (٣)

٥ - عمدة الطالبين فى شرح الأحاديث النووية الأربعين : وهو

---

(١) انظر : الوفيات ١ / ٣٧٢ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، ومنتخبات تواريخ دمشق ٣ / ٥٣٦ .

(٢) انظر : هدية العارفين ١ / ٧١٨ .

(٣) انظر : تاريخ علماء بغداد ١٨٩ - ١٩٣ ، ومعجم المؤلفين ١٧٧ - ١٧٨ ، وإيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادى ، عنى بتحقيقه وطبعه : محمد شرف الدين بالتقايا ، وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية ١٣٦٤ هـ ، واسمه كما فى مصورة المخطوطة : " الروض والحدائق فى تهذيب سيرة خير الخلائق أبى القاسم محمد - ﷺ - وما يضاف إليها من سيرة الخلفاء الأربعة الأئمة الراشدة " . انظر : ترجمة الخازن الأعلام ٥ / ٥ . وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، طبقات المفسرين للداودى ٤٢٦ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، ومنتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ .

مخطوط غير مشهور . [١]

٦ - بغية العمال فى فضائل الأعمال :

وهو مخطوط . [٢]

ومن خلال استعراض مؤلفاته نجد أنها كانت فى التفسير والحديث والفقه والسيرة ، وأكثرها فى الحديث تبعاً لشخصيته الحديثية .

رابعاً : أقوال العلماء فيه :

قال ابن رافع : " وكان بشوش الوجه ، ذا تودد وسمت حسن " . [٣]

وقال القاضى ابن شهبة : " الشيخ الصالح الخير ، كان من أهل العلم ، جمع وألف وحدّث ببعض مصنفاته " . [٤]

وقال ابن عماد الحنبلى : " كان صالحاً خيراً " [٥] وقال الأدنه وي : " الشيخ العالم الفاضل المدقق " [٦] . وقال فى هدية العارفين : " الفقيه

---

(١) هذا الكتاب وردت نسبته للإمام الخازن نقلاً عن مصورة المخطوطة الصفحة الأخيرة لكتاب عمدة الطالبين والنسخة - كتاب عمدة الطالبين - موجودة فى مكتبة السيد أحمد خيرى فى دسونس البحيرة بمصر . انظر الأعلام ٥ / ٥ .

(٢) هذا الكتاب وردت نسبته للإمام الخازن نقلا عن مصورة المخطوطة الصفحة الأخيرة لكتاب عمدة الطالبين .

(٣) انظر : الوفيات ١ / ٣٧٢ ، وطبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ .

(٤) انظر : طبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٤٢٦ .

(٥) انظر : شذرات الذهب ٦ / ١٣١ .

(٦) انظر : طبقات المفسرين للأدنة وي ص ٢٧٥ .

الشافعي " [١] . وقال عمر رضا كحالة : " مفسر فقيه ، محدث ، مؤرخ " [٢] . وقال الزركي : " عالم بالتفسير والحديث " . [٣]

وقال الحصني في منتخبات دمشق : " سمع الحديث من مشايخ دمشق ، وكان صالحاً محققاً جمع وألف ، وكان صوفياً بالخانقاه السمسياطية ، بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن " . [٤]

خامساً : وفاته :

اتفق المترجمون للخازن في السنة التي توفي فيها واختلفوا في المدينة ، فذكروا أنه توفي في آخر شهر رجب أو مستهل شعبان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة (٧٤١ هـ - ١٣٤١ م) بحلب . [٥]

وذكر ابن رافع السلامي أنه : " توفي في يوم الجمعة سلخ رجب بدمشق [٦] ، وصُلّي عليه من يومه بجامعها ودفن بمقبرة الصوفية " . [٧]

---

(١) انظر : هدية العارفين ١ / ٧١٨ .

(٢) انظر : معجم المؤلفين ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) انظر : الأعلام ٥ / ٥ .

(٤) انظر : منتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ .

(٥) انظر : طبقات الشافعية ٣ / ٤٢ ، والدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودي ص ٤٢٧ ، وكشف الظنون ٢ / ١٧٩٢ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وهدية العارفين ١ / ٧١٨ ، والأعلام ٥ / ٥ ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين ص ١٤٧ .

(٦) انظر : منتخبات تواريخ دمشق ٢ / ٥٣٦ ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين ص ١٤٧ .

(٧) انظر : الوفيات ١ / ٣٧١ .

الفصل الثانى

دراسة تفسير (لباب التأويل فى معانى التنزيل)

ويشتمل أربعة مباحث :

المبحث الأول : توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه .

المبحث الثانى : منهج المؤلف فى تفسيره .

المبحث الثالث : مصادر المؤلف فى تفسيره .

المبحث الرابع : قيمة الكتاب العلمية .

المبحث الأول
توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

وتسمية الكتاب بـ " لباب التأويل فى معانى التنزيل " من وضع الخازن نفسه حيث قال فى مقدمة تفسيره : " وسميته لباب التأويل فى معانى التنزيل " والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت ، وإليه أرغب فى تيسير ما أردت ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتقبله منى إنه هو السميع العليم " . (١)

وسماه ابن حجر : التأويل لمعالم التنزيل . (٢)

وأطلق عليه بعضهم تفسير البغدادى . (٣)

ويسميه الألوسى أحياناً عند النقل منه بالتفسير الخازنى . (٤)

وقد اشتهر بين الناس بتفسير الخازن نسبة لمؤلفه ، فنجد أن كتب التراجم اتفقت على نسبة كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام الخازن (٥) نسبة لمؤلفه .

ولا يبقى بعد هذا شك فى نسبة الكتاب للإمام الخازن كما صرح فى مقدمته .

ونجد أن الخازن قد جعل تسميته (لباب التأويل فى معانى التنزيل)

---

(١) انظر : تفسير الخازن ١ / ٥ .
(٢) انظر : الدرر الكامنة ٤ / ١١٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ٤٢٦ - ٤٢٧ .
(٣) انظر : طبقات المفسرين للأدنة وي ص ٢٧٥ .
(٤) انظر : روح المعانى ١٥ / ١٣ .
(٥) انظر : كشف الظنون ٢ / ١٥٤٠ .

على نسق اسم التفسير الذى جعله عمدته وهو : (معالم التنزيل) . كما يشير اسم التفسير (لباب التأويل) إلى الطابع العام له وهو الاهتمام بالفوائد دون الإسهاب أو التطويل وهذا ما صرح به فى مقدمة تفسيره فقال : " مختصراً جامعاً لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبير " . [١]

وتجدر الإشارة إلى أن محمود حمزة الكرمانى [٢] قد سبقه فى بعض التسمية . فقد صنف كتاباً اسمه " لباب التأويل وعجائب التأويل " وهو فى غرائب وعجائب تفسير القرآن .

(١) انظر : تفسير الخازن ١ / ٤ .

(٢) توفى بعد الخمسمائة . انظر : كشف الظنون ٢ / ١٥٤١ .

المبحث الثانى
منهج المؤلف فى تفسيره

بين الخازن – رحمه الله – منهجه فى تفسيره وعمله فيه بيانا دقيقاً فى مقدمة تفسيره ، وأخبر أنه جعل تفسير البغوى عمدة له فى نقوله ، وأضاف إليه ما استحسنه من كتب التفسير الأخرى ، فقال فى مقدمته بعد وصفه تفسير البغوى بأكمل الأوصاف : " ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن انخب من غرائر فوائده ، ودرر فوائده ، وزواهر نصوصه ، وجواهر فصوصه " . مختصراً جامعاً لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبير ، حاوياً لخلاصة منقولة ، متضمناً لنكته وأصوله ، مع فوائد نقلتها ، وفرائد لخصتها ، مجتنباً حدّ التطويل والإسهاب ، وحذفت منه الإسناد ؛ لأنه أقرب إلى تحصيل المراد . . . " [1] مع إضافة من الأحاديث النبوية التى تعينه على تفسير آية أو بيان حكم .

ومن يديم النظر فى تفسير الخازن يجده التزم بهذا المنهج . وكان – رحمه الله – قد جعل تفسير البغوى عمدته إلا أنه زاد عليه من كتب التفسير الأخرى .

وبالنظر إلى تفسيره يمكننا أن نتبين ملامح منهجه فى التفسير على النحو التالى :

أولاً : اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن :

ذكر الخازن فى مقدمة تفسيره أن على الكتاب والسنة مدار الشرع ومعرفة أحكام الدين . . . [2] لذا نجده كثيراً ما يعتضد بالآيات القرآنية

---

(١) انظر : تفسير الخازن ١ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير الخازن ١ / ٥ .

لتبين المراد من الآيات . . . وهو بذلك يوردها كدليل للمعنى الذى ساقه ونقله لبيان معنى أو حكم تتضمنه الآية ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

مثال : قال الخازن عند قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ ﴾ [١]

أى : قم بعد نومك ، والتهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم . والمراد من الآية : قيام الليل للصلاة . وكانت صلاة الليل فريضة على النبى ﷺ وعلى الأمة فى الابتداء ، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ . [٢]

مثال : قال الخازن عند قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠ ﴾ [٣] .

أى : حجة بينة . وقيل : ملكاً قوياً تنصرنى به على من عادانى ، وعزاً ظاهراً أقيم به دينك ، فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له .

وأجاب دعاءه وقال له ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [٥] ، وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٦] .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٧٩ .

(٢) سورة المزمل : آية ١ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨٠ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٥) سورة التوبة : آية ٣٣ ، وسورة الصف : آية ٩ .

(٦) سورة النور : آية ٥٥ .

ثانياً : اعتماده على تفسير القرآن والسنة :

كان منهج الخازن فى تفسيره المأثور عن رسول الله ﷺ أنه يقف عنده ويقتصر عليه فى شرح اللفظ والآية ، ولا يستعرض غيره من آراء المفسرين ؛ لأنه لا مجال للاجتهاد والرأى مع النص يتضح ذلك فيما يلى :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [١] ، قال الخازن فى تفسيره عند هذه الآية : " (سوف) من الله واجب ، و (الحساب اليسير) هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة " . [٢]

ثم قال : " عن ابن أبى مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبى ﷺ قال : من حوسب عذب ، قالت : أوليس يقول الله فسوف يحاسب حساباً يسيراً قال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب " . [٣]

وأحياناً قد يستعرض بعض آراء المفسرين وغيرهم إلى جانب ماورد عن رسول الله ﷺ ، وفى هذه الحالة نرى الخازن يرجح المأثور عن الرسول ﷺ ، ويرد ما يخالفه ففى قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟**

---

(١) سورة الانشقاق : آية ٧ ، ٨ .

(٢) تفسير الخازن ج٤ ص ٣٦٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير باب " فسوف يحاسب حساباً يسيراً " وأخرجه مسلم باب " اثبات الحساب " ١٧ ص ٢٠٨ بشرح النووى .

إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [١] ذكر الخازن فى تفسير هذه الآية الحديث التالى :

عن ابن مسعود قال : " لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا : أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول نعمان لابنه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " وفى رواية ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه وذكره . [٢]

وقيل فى معنى قوله : " ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " يعنى ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معانى الظلم وذلك بأن يفعل لبعض مانهى الله عنه أو بترك ما أمر الله به .

فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره .

والصحيح أن الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك بما تقدم من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ فسر الظلم هنا بالشرك . [٣]

منهج الخازن فى ذكر الأحاديث وتخريجها :

١ – ذكر الأحاديث مع حذف الإسناد ، ولعله فعل ذلك اختصاراً ووصولاً للعلم بأقرب طريق وأيسره ، وقد أوضحنا ذلك فى المثال السابق .

---

(١) سورة الأنعام : آية ٨٢ .

(٢) لم أعثر عليه فى صحيح مسلم ولكن وجدته فى سنن النسائى فى كتاب الصلاة باب " القراءة بسم الله الرحمن الرحيم " ج٢ ص ١٠٤ .

(٣) تفسير الخازن ج٣ ص ٣١ .

وإذا كان الخازن قد سار على هذا النهج كثيراً فأضاف الأحاديث إلى من خرجها من الأئمة ، وأورد للحديث أكثر من طريق ؛ فإنا نـراه فـى أحيان أخرى لا يلتزم هذا الشرط فيأتى بالأحاديث ولا يذكر من خرجهـا ، بل يسندها إلى المفسر الذى نقل من تفسيره هذا الحديث .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) . قال الخازن : " ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة ، وتحذيره عما يوقعه فيه من المفسدة ، وذلك أن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو ، فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال : (أفلا تعقلون) ثم قال : روى البغوى بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت ليلة أسرى بى رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون " . (٢)

فالخازن عندما لم يعثر على هذا الحديث فى أحد الكتب الستة ولا أحد الكتب المعتبرة الأخرى عندئذ أسنده إلى المرجع الذى أخذ عنه هذا الحديث وهو تفسير البغوى ، وهذا يدل على أن الخازن – رحمه الله – غاية فـى الأمانة العلمية .

٢ – نقد الأحاديث نقداً علمياً . فيذكر ما قاله أئمة الجرح والتعـديل فيها من جهة سندها أو من جهة متنها .

---

(١) سورة البقرة : آية ٤٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ٣ ص ١٢٠ طبعة بيروت .

مثال : ذكر الخازن فى تفسيره – فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (١) فقال : قال العلماء الحج واجب على كل مسلم ، ولوجوب الحج خمس شرائط الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية والاستطاعة ، ولا يجب على الكافر والمسلم ولو حجا لم يصح ، لأن الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون . ثم قال : ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى : : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ فلو تكلف غير مستطيع الحج ، وحج صح حجه ، وسقط فرض حجة الإسلام والاستطاعة نوعان :

أحدهما : أن يكون مستطيعاً بنفسه .

والآخر : أن يكون بغيره .

فأما المستطيع بنفسه أن يكون قادراً على الذهاب ووجد الزاد والراحلة كما تقدم من حديث ابن عمر فى الزاد ، والراحلة وهو : " عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ما يوجب الحج قال : الزاد والراحلة " (٢) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن . وابراهيم ابن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، وكذا قال ابن المنذر .

وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمتصل ، وإنما المرفوع ما

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى جامعه ج٣ كتاب الحجر باب ماجاء فى إيجاب بالزاد والراحلة ص ١٦٨ طبعة مصطفى الحلبى قال أبو عيسى هذا حديث حسن .

رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى ﷺ ، وابراهيم متروك الحديث ، قال يحيى بن معين ابراهيم ليس ثقة " . (١)

٣ - يرتضى بعض الأحاديث رغم أن علماء الجرح والتعديل قد انتقدوها ؛ وذلك لأن لها طرقاً أخرى تقويها وتشهد لصحتها ، أو لأن معناها لا يناقض ماجاءت به الأحاديث الصحيحة .

مثال : قوله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٢) قال الخازن فى هذه الآية : " المخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام ، وقيل : الملائكة ، وقيل : أن القائل لذلك هو الله تعالى ، عرف فرعون سوء صنيعه ، وما كان عليه من الفساد ، ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى : (فاليوم ننجيك ببدنك) .

والقول الأول أشهر يعضده ماروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : لما أغرق الله فرعون قال : آمنت أنه لا إله إلا هو الذى آمنت به بنوا إسرائيل قال جبريل : يامحمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة " (٣) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن .

وفى رواية أخرى عنه عن عدل بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبى ﷺ أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس فى في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله ، أخرجه

---

(١) تفسير الخازن ج١ ص ٢٦١ .

(٢) سورة يونس : آية ٩١ .

(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه ج٥ كتاب التفسير باب (فى تفسير سورة يونس) ص ٢٨٧ ط مصطفى الحلبى قال أبو عيسى هذا حديث حسن .

الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وبعد ذلك ذكر الخازن بعد هذا فصلا فى الكلام على هذا الحديث قال فيه : لأنه فى الظاهر مشكل فيحتاج إلى بيان وإيضاح فنقول : قد ورد هذا الحديث على طريقتين مختلفتين عن ابن عباس ففى الطريق الأول : عن ابن زيد بن جدعان وهو وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صدوقاً لكنه كان سيىء الحفظ ، وقد احتمل الناس حديثه ، وإنما يخشى من حديثه إذا لم يتابع عليه ، أو خالفه فيه الثقات ، وكلاهما منتف فى هذا الحديث لأن فى الطريق الأخرى شعبة بن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير ، وهذا الإسناد على شرط البخارى .

ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، وهذا الإسناد على شرط البخارى ، ورواه أيضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة ، وقد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل ، فإنما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا أن لهذا الحديث أصلاً وأن رواته ثقات ليس فيهم متهم وإن كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره .

ثم قال – رحمه الله – فإن قلت ففى الحديث شك فى رفعه لأنه قال فيه : ذكر أحدهما عن النبى ﷺ ؟ قلت : ليس الشك فى رفعه إنما هو جزم بأن أحد الرجلين رفعه ، وشك شعبة فى تعيينه هل هو عطاء بن السائب ، أو عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك فى تعيينه لم يكن هذا علة فى الحديث " . (١)

---

(١) تفسير الخازن ج٢ ص ٣١٢ .

٤ - قد لا يرتضى الخازن - رحمه الله - الحديث لعلمه بضعف الحديث أو علمه كذلك بما قاله فيه علماء الجرح والتعديل ، ومع ذلك فهو يعمد إلى حمله على أحد جوانب التفسير .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [١] . قال الخازن فى تفسيره : " وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس فى قوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى ؟ فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب أحداهما بالأخرى فكسرهما " . [٢]

٥ - كان - رحمه الله - يشرح غريب الحديث . وقد نص - رحمه الله - فى مقدمته ، حيث قال : " ثم إنى عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ، ليكون أكمل فائدة فى هذا الكتاب ، وأسهل على الطلاب ، وسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز وحسن الترتيب ، مع التسهيل والتقريب " . [٣]

مثال : قال الخازن عند قوله عز وجل ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٢) تفسير الخازن ج١ ص ١٨٤ رواه الخازن عن الطبرى بسنده ولم أجد له مخرجاً .

(٣) الخازن ١ / ٥ .

(٤) سورة الإسراء : آية ١٦ .

عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبى ﷺ دخل عليها فزعاً يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتى تليها " ، قالت زينب قلت يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " [١] قوله : " ويل للعرب " " ويل " كلمة تقال : لمن وقع فى هلكة ، أو أشرف أن يقع فيها ، وقوله : " إذا كثر الخبث " ، أى : الشر " . [٢]

٦ – عقد الخازن – رحمه الله – فصولاً تشتمل على أحاديث فى موضوعات مختلفة ، أو شرح لبعض الأحاديث :

ومن أمثلة ذلك أنه – رحمه الله – وضع فصولاً ذكر فيها :

أ – الأحاديث التى وردت فى بر الوالدين .

ب – الأحاديث الواردة فى قيام الليل .

ج – فصل فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه .

د – فصل فى أحكام تتعلق بالحج .

٧ – اهتمامه – رحمه الله – بالترغيب والترهيب فى تفسيره قال الدكتور : محمد حسين الذهبي : " ثم إن هذا التفسير كثيراً ما يتعرض للمواعظ والرقاق ، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب " . [٣]

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب الفتن ، باب – قول النبى ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب ٧٠٥٩ ج١٣ ص ١١ .

(٢) انظر : تفسير الخازن ١ / ٥ .

(٣) انظر : التفسير والمفسرون ١ / ٣١٦ .

ومن أمثلة ذلك : تخصيصه فصلاً فى ذكر الأحاديث التى وردت فى بر الوالدين .

فهذه الأمثلة بينت لنا عناية الخازن الكبيرة بجانب الحديث ، وإفادته من علمه فى هذه الناحية .

ثالثاً : اعتماده على تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

اهتم المؤلف – رحمه الله – بذكر أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين فى تفسير الآيات اهتماماً كبيراً .

ومن الصحابة الذين نقل عنهم الخازن – رحمه الله – فى تفسيره " الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبى موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وأبى ذر الغفارى " .

لكن الخلفاء الأربعة لم يؤثر عنهم إلا القليل ، هذا إذا استثنينا على بن أبى طالب ﷺ ، لأن أبا بكر وعمر وعثمان قد وجدوا فى زمن أكثر أهله علماء بكتاب الله .

أما الإمام على بن أبى طالب ، فقد روى عنه الكثير فى التفسير لتخليه عن الخلافة طيلة مدة الخلفاء الثلاثة ، ولتأخر وفاته عنهم .

أما الباقى من العشرة فأكثرهم تفسيراً هو ابن عباس ثم ابن مسعود، ثم أبى بن كعب ، ومن هنا فالمكثرون من العشرة هؤلاء الثلاثة وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأما زيد بن ثابت ،وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير مع اشتهارهم بالتفسير إلا أنهم أقل من الأربعة السابقين.

وقد كان الخازن – رحمه الله – مقلاً فى نقله عن ابن مسعود ﷺ مع أنه له باع طويل فى التفسير وخبرة بخفاياه ومحكمه ومجمله ، وهو خادم رسول الله ﷺ الذى لازمه ، وقد قال عن نفسه فيما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن مسعود : " والله الذى لا إله إلا هو ما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله من تبلغه الإبل لركبت إليه".(١)

وكذلك كان – رحمه الله – مقلاً فى نقله عن الصحابيين أنس بن مالك ، وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما مع أنهما من الصحابة الأجلاء ، ولهم سابقة الإسلام ، وعندهم العلم بكتاب الله وأسراره ، ذلك أنهما رضى الله عنهما قد تربا فى أحضان النبوة .

ومن الأمثلة على نقله – رحمه الله – فى تفسيره لأقوال الصحابة . . قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾(٢)

قال الخازن فى تفسيره : (ألم) قيل أن حروف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر الله فى القرآن ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها . قال أبو بكر الصديق ﷺ فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور " .

رابعاً : اعتماده على تفسير القرآن بأقوال التابعين :

تفسير الخازن – رحمه الله – ملىء بالمأثور عن التابعين وأكثر من الأخذ عنهم .

---

(١) تفسير الخازن ج١ ص ٢٠ .

(٢) سورة البقرة : الآيات ١ ، ٢ .

ومن هؤلاء التابعين مجاهد بن جبير ، سعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، وسعيد بن المسيب ، والربيع بن أنس ، والحسن البصرى ، والضحاك بن مزاحم ، والشعبى ، وسفيان بن عيينه ، ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، والسدى ، والكلبى .

ومن الأمثلة على اعتماد الخازن – رحمه الله – على تفسير التابعين ما نقله عن مجاهد بن جبير ﷺ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [١] قال الخازن فى بيان معنى هذه الآية : " أى ينزل من أعلى الجبال إلى اسفله ، وخشيتها عبارة عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع عما يريد منها ، وقلوبكم يامعشر اليهود لا تلين ولا تخشع .

ثم قال : وقال مجاهد : ما ينزل من حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا " . [٢]

والذى يبدو لى من قول الخازن – رحمه الله – : " وذلك يشهد لما قلنا " أن الخازن – رحمه الله – أخذ بقول مجاهد واعتمد عليه .

خامساً : موقفه – رحمه الله – من أسباب النزول :

كان الشيخ – رحمه الله – مكثراً من ذكر أسباب النزول فى الآيات ، حتى أنه لا يمكن أن تخلو صفحة من صفحات كتابه من ذكره بصورة مختلفة ومتباينة ، فتارة كان يذكر فى الآية قولاً واحداً ، وتارة يذكر أقوالاً

---

(١) سورة البقرة : آية ٧٤ .

(٢) انظر تفسير الخازن ج١ ص ٦٠ .

عدة ، وتارة يختصر ، وتارة يطول ، وأحياناً يرجح أحد الأقوال ، وأوقاتاً لا يعتمد على الترجيح .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

ذكر الخازن – رحمه الله – سبب نزول هذه الآية فقال : " قال ابن عباس نزلت فى المنافقين يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً فى ليلة مظلمة ، فى منارة فاستدفء ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حائراً متخوفاً فكذلك حال المنافقين ، أظهروا كلمة الإيمان فآمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنائم فذلك نورهم ، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف " . (٢)

سادساً : موقفه من الناسخ والمنسوخ :

لم يتجاهل الشيخ – رحمه الله – الناسخ والمنسوخ من الآيات بل ذكره وإن لم يكن قد توسع فيه ، ومن ذلك .

مثال : قال الخازن – رحمه الله – عند قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٣) : أى حفيظاً وكفيلاً ، قيل : نسختها آية القتال " . (٤)

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧ .

(٢) انظر تفسير الخازن ج١ ص ٢٩ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٥٤ .

(٤) انظر تفسير الخازن ج٤ ص ١٦٤ .

مثال آخر : قال عند قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [١] : أى : وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية ، وأراد به إذا كانا مسلمين ، فأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [٢] [٣] .

سابعاً : المحكم والمتشابه فى تفسيره :

وقف الخازن – رحمه الله وقفة طويلة أمام المحكم والمتشابه مبيناً تعريفه ، وخلاف العلماء فيه ، ومنشأ ذلك الخلاف .

والمتتبع للمنهج الذى سار عليه الخازن فى تفسيره بالنسبة للمحكم والمتشابه يستنتج ما يلى :

١ – أنه عمد إلى الجمع بين الآيات التى وردت بأن القرآن محكم فى مواضع ، ومتشابه فى مواضع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [٤] .

قال الخازن : يعنى أن لفظه يشبه لفظ غيره ، ومعناه يخالف معناه . ثم قال : فإن قلت قد جعله هنا محكماً ومتشابهاً ، وجعله فى موضع آخر كله محكماً فقال فى أول هود : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ وجعله فى

---

(١) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ١١٣ .

(٣) انظر تفسير الخازن ج٤ ص ١٥٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٧ .

موضع آخر كله متشابهاً فقال تعالى فى الزمر : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ فكيف الجمع بين هذه الآيات ؟

قلت : حيث جعله كله محكماً أراد أنه كل حق وصدق وليس فيه عيب ولا هذل وحيث جعله كله متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً فى الحسن والحق والصدق ، وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابهاً فقد اختلفت عبارات العلماء فيه وهو المقصود من النقطة الثانية .

٢ – ثم شرع – رحمه الله – فى ذكر أقوال المفسرين والعلماء فى المحكم والمتشابه فقال : قال ابن عباس : المحكمات الثلاثة آيات التى فى آخر سورة الأنعام وهى :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

ونظيرتها فى سورة بنى إسرائيل .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (٢) .

وعنه أن الآيات المحكمة هى الناسخ ، والمتشابهات هى المنسوخة ، وبه قال ابن مسعود ، وقتادة ، والسدى .

وقيل : أن المحكم مافيه أحكام الحلال والحرام ، والمتشابهات سوى ذلك يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً . (٣)

ثم عدد – رحمه الله – غير ذلك من الأقوال إلا أنه يلاحظ أنه – رحمه الله – يسرد أقوال العلماء فى المحكم والمتشابه دون مناقشة لها أو

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥١ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣ .

(٣) تفسير الخازن ج١ ص ٢١٦ .

توجيه ، أورد لبعضها ، وكان أحياناً ينسب بعض الأقوال إلى قائليها ، علاوة على هذا فهو لم يعمد إلى ترجيح لبعضها أو الخروج منها برأى يخصه أو يشير إليه .

٣ – أشار إلى الحكمة من وجود المتشابه فى القرآن على صورة اعتراض ، ثم عمد إلى الإجابة فقال – رحمه الله – فإن قلت : إنما نزل القرآن لبيان الدين وإرشاد العباد وهدايتهم ، فما فائدة المتشابه ؟ وهلا كان كله محكماً ؟

قلت : أجاب العلماء عن هذا السؤال بأجوبة :

أحدها : أن القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين :

الضرب الأول : الإيجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على مسامعه ولا يحتل غير ظاهره والإطالة لبيان المراد والتوكيد .

الضرب الثانى : المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات وإغماض بعض المعانى ، وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب ، فأنزل الله القرآن على هذين الضربين لتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال : عارضوه بأى الضربين شئتم ، ولو نزل كله محكماً واضحاً لقالوا : هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا .

الجواب الثانى : ان الله أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ، ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ، ولو أنزل القرآن كله محكماً لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره . . إلخ .

الجواب الثالث : أن أهل كل عالم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لأنهم إذا قدروا على انتزع المعانى الغامضة كانوا على الواضح أقدر - فلما كان ذلك حسناً عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله من المتشابه على هذا النحو .

الجواب الرابع : أن الله تعالى أنزل المتشابه فى كتابه مختبراً به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه إلى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو إسرائيل بالنهى والله أعلم بمراده . (١)

٤ - اتجه - رحمه الله - كذلك إلى ذكر أقوال العلماء فى تأويل المتشابه هل هو مما يمكن تأويله أم أنه مما استأثر الله بعلمه ؟ مع الإشارة بعد هذا إلى منشأ الخلاف ، فقال فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ (٢) .

وقيل : يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه ، كعلم الساعة ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وعلم الحروف المقطعة ، وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالإيمان به واجب وحقائق علومه مفوضة إلى الله تعالى ، وهو مذهب ابن مسعود ، وابن عباس فى رواية عنه ، وأبى بن كعب ، وعائشة ، وأكبر التابعين .

---

(١) انظر : تفسير الخازن ج١ ص ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٧ .

فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله (إِلَّا ٱللَّهُ) فيوقف عليه ، ثم ابتدأ فقال عز من قائل : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ قال ابن عباس : سماهم الراسخين فى العلم بقولهم (ءَامَنَّا بِهِۦ) فرسوخهم فى العلم هو الإيمان به ، وقال عمر بن عبد العزيز : " انتهى علم الراسخين فى العلم يتأول القرآن إلى أن قالوا : آمنا به " . (١)

ثامناً : موقفه من القراءات :

إن القارئ لتفسير الخازن – رحمه الله – يجده مع جلاله وفضله ، وسعة علمه واطلاعه البين الجلى ، قد خاض واستفاض فى جميع علوم القرآن علاوة على التفسير التحليلى ، وقد أشبع هذه العلوم دراسة ، وبحثاً ، وعرضاً ، ومناقشة ، وتوجيها ، حتى أن المطلع على هذا التفسير يخرج منه برصيد ضخم من العلم والمعرفة . لكنه – رحمه الله – مع هذا كله أحجم إحجاماً واضحا عن ذكر القراءات ، حتى أن المطلع على تفسيره – رحمه الله – يلاحظ أنه مقل من التعرض للقراءات .

وفى سورة الإسراء مثلا على تعدد القراءات بها لم يذكر إلا قراءة واحدة وبشيئ من الإيجاز ، وهو يحيل لمن قرأ بهذه القراءة .

يضاف إلى ذلك أنه – رحمه الله – مع قلة تعرضه للقراءات نجده حين يتعرض لها يعزف عن مناقشتها أحياناً ، وتوجيهها وبيانها .

كذلك فهو لا يتعرض لأسماء القراء إلا قليلاً ، ولا لأسماء اللغات بخلاف كثير من المفسرين بالرأى أمثال القرطبى ، وابن عطية ، والبيضاوى .

---

(١) تفسير الخازن ج١ ص ٢١٨ .

ومن أمثلة ذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (١) .

قال الخازن : (حتى يطهرن) يعنى من المحيض ، والمعنى : لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم ، وقرئ : (ليطهرهن) بتشديد الطاء ومعناه : يغتسلن " . (٢)

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

(٢) انظر : تفسير الخازن ج١ ص ٢١٩ .

تاسعاً : اللغة والنحو فى تفسيره :

استعرض الخازن – رحمه الله – فى تفسيره بعض المباحث اللغوية التى حاول من خلالها أن يوضح اللفظ القرآنى ، وأن يبين مدلوله فنراه – رحمه الله – يأخذ المعنى اللغوى للكلمة فيجعله أصلاً لمعانى الكلمات التى تقرب من هذه الكلمة فى حروفها ، وذلك نقلا عن أئمة اللغة ، وما تناقله العلماء عنهم .

لكنه – رحمه الله – مع بيانه للأصول اللغوية للفظ الذى جاء فى القرآن الكريم ، ومع رعاية أصل الاشتقاق اللغوى والتصريف لم يكن يلج فى المباحث اللغوية والإعرابية التى تبعده عن المقصود ، وفى الغالب لا يبين مصدر هذا المعنى اللغوى .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [1] يقول : " أى الناجون الفائزون نجوا من النار ، وفازوا بالجنة ، والمفلح : الظافر بالمطلوب : أى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم يستغلق عليه .

ويكون الفلاح بمعنى البقاء ، قال الشاعر :

لو كان حى مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرياح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون فى النعيم المقيم ، والفلاح الظفر وإدراك البغية من السعادة والعزو والبقاء والغنى .

وأصل الفلاح : الشق ، كما قيل : أن الحديد بالحديد يفلح أى :

---

(١) سورة البقرة : آية ٥ .

يقطع، فعلى هذا يكون المعنى : أولئك هم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة . (١)

وقد قلل الخازن – رحمه الله – من النواحى الإعرابية ، فكان يذكرها باقتضاب وإيجاز على خلاف غيره من المفسرين كالزمخشرى ، والقرطبى ، وابن عطية ، وغيرهم .

إلا أنه مع هذا تعرض فى بعض المواضع لمذاهب النحويين وتخريجاتهم مع ذكر خلافاتهم الإعرابية ، وكان هدفه – رحمه الله – من ذلك كشف المعنى القرآنى وتجليته .

مثال : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢) .

قال الخازن فى تفسيره عند قوله تعالى : (والصابئون) : " ظاهر الإعراب يقتضى أن يقال (والصائبين) وكذا قراءة أبى بن كعب ، وابن مسعود ، وابن كثير من السبعة ، وقرأ الجمهور بالردع ، ومذهب الخليل وسيبويه أنه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير ، كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصائبون كذلك فحذف خبره .

عاشراً : موقف الخازن من الشعر العربى :

استعان الخازن – رحمه الله – بالشعر العربى فى تفسيره كثيراً ، ولو

---

(١) تفسير الخازن ج١ ص ٢٤ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٩ .

أراد باحث تقص ذلك لطال المقام به ، ولكان فى حاجة إلى مجلدات لحصر ذلك ، ولا أكون مبالغة إذا قلت أن فى تفسيره ثروة شعرية جيدة استعان بها فى طيات كتابه لبيان كثير من الأغراض والنواحى .

فتارة نجده – رحمه الله – يذكره لأجل الوعظ والتذكير ، وتارة لبيان معنى لغوى ، وتارة أخرى لبيان وصحة عقيدة أهل السنة والدفاع عنها ، وأحياناً لإبراز قاعدة بلاغية إلى غير ذلك .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [١] . قال الخازن : " اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل : هو الزنا ، كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ، ومراده الزنا ، ويقول لها وعينى فإذا وفيت عِدَّتِك أظهرت نكاحك ، وقيل : هو أن يدخل عليها العهد والميثاق أن لا تتزوج غيره .

ثم قال : وقال الشافعى : السر : الجماع ، وهو رواية عن ابن عباس " . [٢] .

ثم أن الخازن – رحمه الله – ارتضى هذا الرأى ورجحه برأى الشافعى ، واستدل له بالشعر العربى من قول امرئ القيس .

ألا زعمت بسياسة القوم اننى كبرت وأن لا يحس السر أمثالى

و " بسياسة " اسم امرأة ، وإنما وقعت الكناية بالسر عن الجماع لأنه مما يُسَرّ ، والله تعالى حى كريم فكنى به عن الجماع الصريح . [٣]

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٣٥ .

(٢) تفسير الخازن ج١ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) تفسير الخازن ج١ ص ١٦٦ .

حادى عشر : موقفه من القضايا الفقهية :

اعتنى المؤلف – رحمه الله – كثيراً بفقه آيات الأحكام ، مع التفصيل فى ذكر الأقوال والخلافات والأدلة ، ويعرض للمسألة من جميع نواحيها فى مواضع عديدة .

ومما تميز به فى عرضه للمسائل الفقهية أنه يحرص على ذكر أقوال الصحابة والتابعين والسلف فى الآية ، ويرجح .

مثال : قال الخازن عند قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [١] " روى عن ابن مسعود – ﷺ – أنه قال : " الدلوك الغروب " وهو قول النخعى ، ومقاتل ، والضحاك ، والسدى ، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر – رضى الله عنهم – هو : زوال الشمس ، وهو قول : عطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وأكثر التابعين .

ومعنى اللفظ يجمعهما ؛ لأن أصل الدلوك ، الميل ، والشمس تميل إذا زالت ، وإذا غربت . والحمل على الزوال أولى القولين : لكثرة القائلين به ، وإذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها ، فدلوك الشمس : يتناول صلاة الظهر والعصر ، (إلى غسق الليل) أى : ظهور ظلمته ، وقال ابن عباس – رضى الله عنهما : بُدوّ الليل . وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى : صلاة الفجر . سمى الصلاة قرآناً ؛ لأنها لا تجوز إلا بقرآن " . [٢]

---

(١) سورة الإسراء : آية ٧٨ .

(٢) انظر تفسير الخازن ج٤ ص ١٧٣ .

ثانى عشر : موقفه من الإسرائيليات :

ذكر الخازن – رحمه الله – فى مقدمته بعض الأسباب التى دعته لاختياره تفسير البغوى عمدة لتفسيره أنه كان موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة ، فالخازن لا يرى بأساً من نقل تلك الروايات ، لذلك يقول د . محمد حسين الذهبى واصفاً تفسير الخازن : " وقد قرأت فى هذا التفسير كثيراً فوجدته يتوسع فى ذكر القصص الإسرائيلى ، وكثيراً ما ينقل ماجاء من ذلك عن بعض التفاسير التى تعنى بهذه الناحية كتفسير الثعلبى وغيره ، وهو فى الغالب لا يعقب على ماذكر من القصص الإسرائيلى ، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير .

وإن كان الخازن – رحمه الله – فى بعض المواضيع لا يترك القصة تمر دون أن يبين لنا ضعفها أو كذبها ، ولكن على ندرة . . . ولكنا نرى الخازن يمر بقصص كثيرة لا يعقب عليها ، مع أن بعضها غاية فى الغرابة " . (١)

وقد أكثر الشيخ – رحمه الله – النقل عن بعض المفسرين فيما يتعلق بالإسرائيليات ، حتى إنك لتجد أنه فى كل آية يتعرض لما قالوه بأسلوب قصصى مطول ، لا مجال لضرب أمثله له فى مقامنا هذا .

فالخازن – رحمه الله – أخذ عنهم ونقل عنهم دون ترو ، أو تبصر ، أو نقد لأقوالهم ، من دون تمييز لهذه الروايات أو بيان للصحيح والسقيم منها .

وقد يكون هذا هو المأخذ الوحيد على هؤلاء العلماء الأجلاء الذين

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون ١ / ٣١٣ .

اشتهروا بالعلم والجلال والزهد حيث اتهم هؤلاء بالتساهل فى ذكر الإسرائيليات دون تمييز لها بين الغث والسمين والحق والباطل ، وإن كانت ساحتهم بريئة من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ .

وكذلك عنايتهم الكبيرة بالأخذ عن بنى إسرائيل وكتبهم وعنايتهم بالثقافة الإسرائيلية وخلطهم بينها وبين الثقافة الإسلامية ، وكذلك خطأ من جاء بعدهم من المفسرين ، وحاول أن يشرح القرآن بهذه الإسرائيليات ، فربطوا بينها وبينه مع وجود البعد الشاسع ، بل زادوا على ذلك مانسخوه من قصص خرافية ونسبوها لهؤلاء الأعلام ترويجاً لها وتمويها على العامة.

للأسباب السابقة كان يجدر بالشيخ الخازن – رحمه الله – أن لا يكثر من النقل عنهم تقيداً بقوله ﷺ " وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " . (١)

ولأن كثرة النقل عنهم تؤدى إلى الحرج وتجعل تفسيره أشبه بالقصص الخرافية التى تصور الخيال أقرب منه إلى الحقيقة .

وحتى ولو أكثر من النقل كان يجدر به – رحمه الله – أن لا ينقل عنهم إلا الموافق للعقل والواقع ، المطابق للقرآن المصدق له ، حتى يؤدى الفائدة المرجوة المنشودة .

ثالث عشر : الوقوف عند رأى أهل السنة والجماعة فى قضايا العقيدة :

---

(١) صحيح مسلم ج٣ كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ص ١٢١٩ ، ١٢٢٠ طبعة عيسى الحلبى ٣٥ .

تعرض الخازن فى تفسيره للمسائل العقدية بإيجاز ، دون استرسال فى عرض مذاهب المتكلمين ؛ من معتزلة وغيرهم ، وكان – رحمه الله – يذكر أقوال أهل السنة ، ويرجح قولهم وينتصر له ، ويستدل عليه ؛ وخاصة فى الرد على المذاهب الأخرى ، كما أنه قد جعل تفسير البغوى أصلاً اعتمده فى تفسيره ، والبغوى – رحمه الله – سلفى ، فلابد من تأثره بذلك .

مثال : قال الخازن عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [١] : (السميع) لأقواله ودعائه (البصير) لأفعاله ، والحافظ له فى ظلمة الليل وقت إسرائه .

وقيل : إنه هو (السميع) لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسيره إلى بيت المقدس . (البصير) بما ردوا عليه من التكذيب .

وقيل : (هو السميع) لأقوال جميع خلقه (البصير) بأفعالهم فيجازى كل عامل بعمله . فحمله على العموم أولى . [٢]

فالخازن سلك فيها مذهب أهل السنة والجماعة فى باب الأسماء والصفات حيث ذكر أقوالاً يثبت بها اسمين من أسماء الله – عز وجل فلم يؤول .

وقال الخازن عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [٣] .

واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه ، فسرد أقوالاً كثيرة للصحابة

---

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) انظر : تفسير الخازن ج٤ ص ١٢٨ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

والتابعين وغيرهم ، ثم قال : " وأولى الأقاويل : أن يوكل علمه إلى الله عز وجل ، وهو قول أهل السنة ، قال عبد الله بن بريدة : إن الله لم يُطْلِعْ على الروح ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً بدليل قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أى : من علم ربى الذى استأثر به . (١)

(١) انظر : تفسير الخازن ج٤ ص ١٨٢ .

المبحث الثالث
مصادر الخازن فى تفسيره

كان الإمام الخازن – رحمه الله – قد تولى خزانة كتب الخانقاه السمسياطية ، فكانت الكتب قريبة بين يديه ، ينهل من معين تلك المكتبة بسهولة ويسر ، ويضم فى تفسيره مختلف العلوم والفنون ، ويتضح هذا من خلال مانقله المؤلف عن الكتب الأخرى ، ونجد الخازن أحياناً يصرح بمن نقل عنه ، وأحياناً لا يذكره ، ومن مصادره التى أشار إليها صراحة فى تفسيره مايلى :

أولاً : مصادره فى التفسير وعلوم القرآن :

١ – تفسير البغوى (معالم التنزيل) لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوى المتوفى : ٥١٦ هـ .

كان من أهم كتب التفسير التى تأثر بها الخازن فى تفسيره أيما تأثر ، ولم يكن تأثره – رحمه الله – به كمصدر من مصادر التفسير التى استقى منها تفسيره فحسب ، بل تعدى ذلك حيث أن تفسير الخازن – كما سبق أن بينا – ماهو إلا مختصر من تفسير البغوى .

وقد كان الخازن – رحمه الله – يستقى الفكرة من تفسير البغوى كما يستقى الألفاظ منه فى كثير من الأحيان ؛ حتى لتحسبها كتاباً واحداً فى كثير من الأحيان فكان أحياناً يصرح بنقله عنه ، وكثير مايهمل ذلك .

مثال : قال الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [١] : " والتعليق على حديث المعراج : قال البغوى :

---

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

قال بعض أهل الحديث : ماوجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديث شريك ابن أبى نمر عن أنس بن مالك ، وأحال الأمر فيه على شريك ، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك كان قبل الوحى ، واتفق أهل العلم أن المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنى عشر سنة ، وفيه أن الجبار تبارك وتعالى دنى فتدلى . وذكرت عائشة رضى الله عنها : أن الذى تدلى هو جبريل - عليه السلام - .

قال البغوى : " وهذا الاعتراض عندى لا يصح ؛ لأن هذا كان رؤيا فى النوم ، أراه الله ذلك قبل أن يوحى إليه ، بدليل آخر الحديث ، " فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام " ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى ، وقبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه ﷺ التى رآها من قبل ، كما أنه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، ثم كان تحقيقاً سنة ثمان ، ونزل قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [١] [٢] .

٢ - جامع البيان فى تأويل آى القرآن للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ .

وقد استفاد الخازن - رحمه الله - من هذا التفسير واستعان به فى جوانب كثيرة من تفسيره ، وخصوصاً ما يتعلق بالمأثور ، لما هو معروف عن تفسير الطبرى وعنايته الفائقة بالمأثور عن الصحابة والتابعين ، وإن كان لا يخلو أن يكون مرجعاً من مراجع التفسير بالدراية ، نظراً لما فيه

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٧ .

(٢) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام الجليل أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ٢ / ٦٥٦ تحقيق خالد عبد الرحمن العك طبعة دار المعرفة - بيروت لبنان الطبعة الخامسة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

من الاستنباط ، وتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ترجيحاً يعتمد على النظر العقلى ، والبحث الحر الدقيق .

مثال : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١) .

قال الشيخ – رحمه الله – : " وقال ابن جرير الطبرى : " معنى لَّن ﴿ تُقْبَلَ ﴾ تَوْبَتُهُمْ أى مما زادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لا من كفرهم لأن الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢) فعلى هذا فالذى لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر فلا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه ، فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم " . (٣)

٣ – **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبى القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى توفى ٥٣٨ هـ .**

وهذا الكتاب مع أن مؤلفه فيه النزعة الاعتزالية ؛ إلا أنه لم يسبقه أحد لما وصل إليه من وجوه الإعجاز ، ولما ظهر فيه وامتاز به من جمال

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٨٩ .

(٣) انظر تفسير الطبرى المجلد الثالث ج٣ ص ٢٤٤ طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م ، وتفسير الخازن ج١ ص ٢٥٤ .

النظم القرآني وبلاغته ، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب . (١)

ولقد استفاد الخازن – رحمه الله – من هذا التفسير ، واعتمد عليه كثيراً كمصدر من مصادره فى التفسير وخصوصاً بما يتعلق بالنواحى البلاغية والجوانب اللغوية والنحوية .

مثال : قال تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢) وذلك فى سياق قصة قتل قابيل أخاه هابيل ، قال الخازن فى تفسير هذه الآية : " يعنى ترجع باثم قتلى إلى اثم معاصيك التى عملتها من قبل فإن قلت كيف قال هابيل إنى أريد واردة القتل والمعصية من الغير لا تجوز ؟ قلت أجاب ابن الأنبارى عن هذا بأن قال : إن قابيل لما قال لأخيه هابيل لأقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال : لئن بسطت إلى . . الآية . فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك : إنى أريد أن تبوء باثمى وإثمك ، أى إذا قتلتنى ولم يندفع قتلك إلا بقتلى إياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى إذا قتلتنى فكان هذا عدلاً من هابيل وإليه أشار الزجاج .

وقال الزمخشرى : ليس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً وإن لم يكن مريداً حقيقة . (٣)

---

(١) التفسير والمفسرون ج١ ص ٤٣٣ ، وفيات الأعيان ج٢ ص ٥٠٩ ، ٥١٣ ، وشذرات الذهب ج٤ ص ١٢١ ، وطبقات المفسرين ص ٤١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٢٩ .

(٣) تفسير الزمخشري ج١ ص ٦٠٧ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت

والملاحظ على الخازن فى هذا النص أنه استفاد من تفسير الزمخشرى فيما يتعلق بالبلاغة من حيث الحقيقة والمجاز لإبراز الفكرة فى إطار واضح بين .

٤ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الطبرستانى الرازى ، الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب الشافعى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ولو نظرنا إلى تفسير الخازن لوجدناه نقل أيضا من تفسير الرازى نصوصاً قصد بها بيان معنى الآية وتأويلها وشرحها وبيان ماقد يصعب فى فهمها .

ويلاحظ على الخازن - رحمه الله - اعتماده على تفسير الرازى كمصدر رجع إليه واستقى منه نصوصاً كان أبرزها فيما يتعلق بالمسائل العقدية ، وكذلك فيما يتعلق بالتفسير بالدراية فى المجال اللغوى والبلاغى بقصد إيضاح المعنى وبيانه بأسلوب سهل بسيط .

كذلك لم يقتصر - رحمه الله - على النقل والاقتباس من تفسير الرازى فى حدود التأويل للآيات وبيانها فقط ؛ بل تعدى هذا إلى جانب آخر من جوانب التفسير بالدراية ألا وهو موضوع الربط بين الآيات ومناسباتها.

مثال : قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (١) .

١٩٧٧ م ، وتفسير الخازن ج١ ص ٤٤٩ .

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٤ .

قال الخازن – رحمه الله – : " قال الفخر الرازى : اعلم أن موسى – عليه السلام – لما طلب الرؤية ومنعه الله منها عدد عليه الله وجوه نعمه العظيمة التى له عليها وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له إن كنت قد منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية ، وانظر إلى سائر أنواع النعم التى خصصتك بها واشتغل بشكرها ، والمقصود تسلية موسى – عليه السلام – عند منع الرؤية " . (١)

٥ – زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى المتوفى ٥٩٦ هـ .

اعتمد الخازن – رحمه الله – أيضا على تفسير ابن الجوزى فى مواضيع متعددة الجوانب فنقل عنه مما يتعلق بالتفسير بالدراية ، ومما يتعلق بالمسائل العقدية .

وأحيانا كان – رحمه الله – يأخذ عن ابن الجوزى الفكرة ، ولكن لا يشير إليه خاصة فيما يتعلق بالمسائل العقدية .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

قال الخازن – رحمه الله – : " قال ابن الجوزى : فإن قيل : أليس الله يعلم مقادير الأعمال فما الحكمة من وزنها ؟

قلت : فالجواب أنه فيه خمسة حكم :

---

(١) تفسير الرازى ج١٤ ص ٢٣٥ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، طبعة بدون ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

(٢) سورة الأعراف : آية ٨ .

أحدهـــا : امتحان الخلق بالإيمان بذلك فى الدنيا .

الثانيـــة : إظهار علامة السعادة والشقاء فى الآخرة .

الثالثـــة : تعريف العباد مآلهم من خير وشر .

الرابعـــة : إقامة الحجة عليهم .

الخامسة : الإعلام بأن الله عادل لا يظلم ، ويظهر هذا أنه أثبت الأعمال فى كتاب واستنسخها من غير جواز النسيان عليه . أ . هـ كلام ابن الجوزى .

ولو نظرنا فيما قاله الخازن فى الحكمة من الوزن لوجدنا أنه يقول مثل الكلام السابق أو قريبا منه فيقول : " فإن قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد فما الحكمة فى وزنها ؟ قلت : فيه حكم . . .

منها : إظهار العدل وأن الله عز وجل لا يظلم عباده .

ومنها : امتحان الخلق بالإيمان بذلك فى الدنيا وإقامة الحجج عليهم فى العقبى .

ومنها : تعريف العباد مالهم من خير وشر ، وحسنة وسيئة .

ومنها : إظهار علامة السعادة والشقاوة ، ونظير هذا أنه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى . (١)

٦ – أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى

---

(١) تفسير زاد المسير المجلد الثالث ص ١٧١ ، طبعة دار الفكر . الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، وتفسير الخازن ج٢ ص ١٤ .

المتوفى ٥٤٣ هـ .

إن القارئ لتفسير الخازن وتفسير القرطبى – رحمهما الله – يجد أنهما يتفقان من حيث الأفكار وإن كانا يختلفان من ناحية الأسلوب والعرض.

والخازن – رحمه الله – كان يأخذ أحياناً من تفسير ابن العربى وهو لا يشير إليه أحياناً .

كما أنه أيضا كان يعتمد أحياناً على تفسير ابن العربى فيما يتعلق بالتفسير بالرأى ، غير أنه – رحمه الله – لم يعتمد على هذا التفسير كمصدر من مصادره فى مجال الدراية ، بل تعدى ذلك إلى مجال آخر ، وهو الأخذ عنه فى مجال المأثور فيما يتعلق برواية الأحاديث ودرجتها .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (١) .

الخازن بعد تفسيره لهذه الآية يشتمل على عدة مسائل فقهية تتعلق بالآية منها : اتفاق العلماء على أن الدم حرام بخس لا يؤكل ولا ينتفع به واستشهد بحديث رواه الدار قطنى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ، ومن الدم الكبد والطحال " . وفى لفظ آخر : " أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت ،

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٣ .

وأما الدمان فالكبد والطحال " . أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل .

ثم ذكر – رحمه الله – أقوال العلماء فى الحديث فقال : " قال أحمد وعلى بن المدينى : عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قول ثقة ، وقد أخرج الدارقطنى هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا .

ثم قال – رحمه الله – وضعف أبو بكر بن العربى هذا الحديث ، وقال : يروى عن عمر بما لا يصح سنده " . (١)

فيلاحظ فى هذا المقال أن الخازن يأخذ بآراء ابن العربى فيما يتعلق برواية الحديث وتضعيفه . وهذا فيه دلالة على اعتماده على تفسير ابن العربى – رحمهما الله – .

٧ – تفسير الواحدى لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى ٤٦٨ هـ .

وهذا التفسير رجع إليه الخازن كثيراً للاستشهاد به فى مواطن متعددة وفى جوانب مختلفة ، فالخازن استفاد من تفسير الواحدى وأخذ عنه بيان بعض الآيات وتفسيرها تفسيراً تحليلياً وذلك من خلال مايلى :

١ – عرضه لأقوال المفسرين .

٢ – عرضه من تفسير الواحدى ما يتعلق بالأبواب النحوية ووجوه الإعراب يذكرها من جملة الأقوال الأخرى .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠

---

(١) أحكام القرآن لابن لعربى ج١ ص ٥٢ ، وتفسير الخازن ج١ ص ١٠٦ .

خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [١] .

قال الخازن : " يعنى قال الله عز وجل لإبليس : أى شئ منعك من السجود لآدم إذ أمرتك فعلى هذا التأويل تكون كلمة (لا) فى قوله (أن لا تسجد) صلة زائدة ، وإنما دخلت للتوكيد والتقدير مامنعك أن تسجد فهو كقوله (لا أقسم) أى : أقسم ، وهذا الكسائى والفراء والزجاج والأكثرين .

وقيل : أن كلمة (لا) هنا على أصلها وليست بزائدة لأنه لا يجوز أن يقال : أن كلمة (لا) هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لأنه لا يجوز أن يقال : أن كلمة من كتاب الله زائدة أو لا معنى لها .

وعلى هذا القول حكى الواحدى قال : " عن أحمد بن يحيى أن (لا) فى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد لأن معنى قوله (مامنعك أن لا تسجد) من قال لك لا تسجد ، فحمل الكلام على معناه . [٢]

٨ – تفسير أبو بكر بن الأنبارى .

هذا التفسير تحت الطبع الآن لذلك لم أستطيع الحصول على بياناته .

والخازن – رحمه الله – أكثر من ذكره فى تفسيره حتى أنك لاتجد موضعاً من مواضع تفسيره إلا وقد تعرض فيه لآراء أبى بكر وأقواله .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٢ .

(٢) تفسير البسيط للواحدى ، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوى ص ٣١٩ – دراسة دكتوراه ، جامعة الإمام سعود الإسلامية ١٤٢٠ هـ .

بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [١] .

قال الخازن : " قال أبو بكر بن الأنبارى فى هذه الآية : رحمه الله اليدان تستعملهما العرب فى المجاز على معنى التقدمة نقول : هذه تكون فى الفتنة بين يدى الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبيها وتمثيلاً إذا كانت يد الإنسان تتقدمانه ، كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به . [٢]

٩ – المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى .

كذلك كان من ضمن مصادر الخازن فى تفسيره كتاب المحرر الوجيز لابن عطية ، ولكن إيراد الخازن له فى تفسيره كان على قلة حتى أنى لم أجده يذكره فى كتابه سوى مرتين فقط .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [٣] .

قال الخازن : " قال ابن عطية : لا تعصوا فى الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله (بعد إصلاحها) أى بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب " . [٤]

وأرى أن فى هذا دلالة على زيادة إطلاع الخازن – رحمه الله – على أقوال المفسرين ، وعلى تنويعه فى المصادر التى اعتمد عليها .

١٠ – تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبى اسحاق أحمد

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٧ .

(٢) تفسير الخازن ج٢ ص ٩٩ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٥٦ .

(٤) تفسير الخازن ج٢ ص ٩٨ .

بن محمد الثعلبى المتوفى ٤٢٧ هـ .

نقل المؤلف فى تفسيره بعض الأقوال والأخبار التى جاءت فى تفسير الثعلبى .

مثال : عند قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾ [١] .

قال الخازن – رحمه الله – : " قال محمد بن اسحاق : كانت بنو اسرائيل فيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله فى ذلك متجاوزاً عنهم ، ومحسناً إليهم ، وكان أول مانزل بهم بسبب ذنوبهم أن ملكاً منهم كان يدعى " صديقة " ، وكان الله إذا ملّك عليهم الملك ، بعث معه نبياً يسدّده ويرشده ، ولا ينزل عليهم كتاباً إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التى فيها فلما ملك " صديقه " بعث الله معية (شعياء بن أمضياء) وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى ، . . . إلخ " . [٢]

وبالرجوع إلى تفسير الثعلبى وجدت الخازن ينقل عنه بنصه ، بينما أصل الرواية عند ابن جرير أوسع مما هى عليه عند الثعلبى والخازن . [٣]

ثانياً : مصادره فى معانى القرآن :

١ – معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى ٢٠٧ هـ.

---

(١) سورة الإسراء : آية ٧ .

(٢) تفسير الثعلبى ٦ / ٧٠ دراسة وتحقيق : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث . بيروت ١٤٢٢ هـ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٤ / ٤٥٩ – ٤٦٩ ، وتاريخ الطبرى ١ / ٣١٣ – ٣٤٧ .

مثال : قال الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [١] . " وقيل : إلى الكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا إله إلا الله " . [٢]

وبالرجوع إلى معانى القرآن للفراء اتضح أن هذا نص كلامه . [٣]

٢ - معانى القرآن وإعرابه لأبى اسحاق الزجاج المتوفى ٣١١ هـ.

مثال : قال الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا ﴾ [٤] .

قيل : الرفات الأجزاء المتبقية من كل شئ تكسر " . [٥]

وبالرجوع إلى معانى القرآن للزجاج وجدت أنه رحمه الله نقل عنه بالنص دون التصريح بذلك . [٦]

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩ .

(٢) تفسير الخازن ج٤ ص ١٥١ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ج٢ ص ١١٧ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى طبعة مصورة بالأوفست أصدرتها دار عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٤٩ .

(٥) تفسير الخازن ج٤ ص ١٨٧ .

(٦) معانى القرآن للزجاج ٣ / ٢٤٤ ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣ م

ثالثاً : مصادره فى أسباب النزول :

١ - أسباب نزول القرآن لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى ٤٦٨ هـ .

مثال : قال الخازن عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [١] .

روى عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن عتبة وشَيْبَة ابنىَ ربيعة ، وأبا سُفْيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبا البَخْتَرِىّ بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب ، وزمعة . . . الخ " . [٢]

رابعا : مصادره فى الحديث .

اعتنى الإمام الخازن - رحمه الله - بالصنعة الحديثية فى تفسيره عناية بالغة ، فهو محدث بالدرجة الأولى ، وخير شاهد على ذلك تتلمذه على شيوخ برعوا فى الحديث ، وتعدد مؤلفاته فى الحديث ، مما كان له أكبر الأثر على تفسيره .

وقد بين فى مقدمته مفاتيح الرموز التى استخدمها [٣] وكانت من مصادره فيها . .

١ - **الصحيحان (صحيح البخارى ومسلم)** . يعزو الخازن - رحمه

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩٠ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٤٨٢ ، دراسة وتحقيق الدكتور : السيد الجميلى ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٣) انظر : تفسير الخازن ١ / ٥ .

الله - غالباً تخريج الأحاديث التى ذكرها فى تفسيره إلى ماتفق عليه الشيخان أولاً إن وجد ، ويرمز لهما معا بالحرف (ق) .

مثال : قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [١] . قال الخازن فى تفسيره لهذه الآية : " سوف من الله واجب ، والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة " .

ثم قال : (ق) عن أبى مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبى ﷺ قال : " من حوسب عذب " قالت : أوليس يقول الله فسوف يحاسب حساباً يسيراً ؟ قال : " إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب " . [٢]

٢ - **ما انفرد به الإمام البخارى فى صحيحه** : ويرمز له بالرمز (خ) ، وقد أورد الخازن فى تفسيره العديد من أحاديث البخارى .

مثال : (خ) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، أت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة " . [٣]

---

(١) سورة الانشقاق : آيات ٧ ، ٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير " باب فسوف يحاسب حساباً يسيراً وأخرجه مسلم باب إثبات الحساب ج١٧ ص ٢٠٨ بشرح النووى .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء ج٢ ص ٩٤ .

٣ – ما انفرد به الإمام مسلم فى صحيحه : ويرمز له بالرمز (م) .

مثال : (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا علىّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوا أن أكون أنا هو ، فمن سأل لىّ الوسيلة حلت عليه الشفاعة " . (١)

٤ – مما أورده للترمذى .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٢) . قال الخازن : " عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : " يارسول الله مايوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة " أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن " . (٣)

٥ – أورد للإمام النسائى .

مثال : فى سورة الكوثر قال الخازن : " عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال : أنزلت على آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر . ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فيه كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد

---

(١) مختصر صحيح مسلم باب : القول مثل مايقول المؤذن ٢ / ٤ رقم ١٩٨ ص ٦١ تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الإسلامى الطبعة السادسة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٢) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ج٣ كتاب الحجر باب فى إيجاد الزاد والراحلة ص ١٦٨ طبعة مصطفى الحلبى . قال أبو عيسى هذا حديث حسن .

نجوم السماء فيختلج [١] العبد منهم فأقول رب إنه من إمتى فيقول : ماتدرى ما أحدث بعدك " . [٢]

٦ - مما أورد للإمام أبى داود .

مثال : فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٣] . قال الخازن : " روى عن النبى ﷺ أنه قال : " من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " . [٤]

٧ - شرح صحيح مسلم للإمام محى الدين النووى المتوفى ٦٧٦ هـ

مثال : قال الخازن عند حديث المعراج : " وقال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله فى كتابه شرح مسلم : " قد جاء فى رواية شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله : " وذلك قبل أن يوحى إليه " وهو غلط لم يوافق عليه وأن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً " . [٥]

٨ - الجمع بين الصحيحين للحافظ أبى محمد عبد الحق الإشبيلى .

مثال : قال الخازن عند ذكر حديث المعراج : " قال الحافظ عبد الحق فى كتابه " الجمع بين الصحيحين " بعد ذكره هذه الرواية - حديث المعراج - : " هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس قد زاد

---

(١) يختلج بالبناء للمجهول معناه : يمنع ويقطع .

(٢) أخرجه النسائى فى سننه فى كتاب الصلاة باب القراءة بسم الله الرحمن الرحيم ج٢ ص ١٠٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٤٤ .

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب العلم ج٢ ص ٢٦٧ .

(٥) صحيح مسلم ٢ / ١٨١ بشرح النووى .

فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة . وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والإئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث . قال : والأحاديث التى تقدمت قبل هذا القول عليها " . (١)

٩ – إكمال المعلم للقاضى عياض المتوفى ٥٤٤ هـ .

مثال : قال الخازن عند ذكره حديث المعراج أيضا : " قوله : فى إدريس مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح " وقد اتفق المؤرخون أن إدريس ، هو أخنوخ وهو جد نوح – عليهما السلام – فيكون جد النبى ﷺ كما أن إبراهيم جده ، فكان ينبغى أن يقول : بالنبى الصالح والإبن الصالح كما قال آدم وإبراهيم – عليهما السلام – :

والجواب عن هذا أنه قيل : " إن إدريس المذكور هاهنا هو إلياس ، وهو من ذرية إبراهيم، فليس هو جد لنوح، هذا جواب القاضى عياض ".(٢)

خامساً : مصادره فى السيرة النبوية .

١ – السيرة النبوية لابن هشام .

مثال : قال الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ

---

(١) انظر : الجمع بين الصحيحين ١ / ١٢٧ – ١٢٨ ، اعتنى به : محمد بن محمد الغماس – الطبعة الأولى ، دار المحقق للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤١٩ هـ .

(٢) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم) أبو الفضل القاضى عياض بن موصى اليحصنى ، تحقيق : الدكتور يحيى إسماعيل ، الطبعة الثانية ، الندوة العالمية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٢٥ .

﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١] . قال ابن عباس – رضى الله عنهما – : " أن قريشاً اجتمعوا وقالوا : إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه ، بكذب ، وقد ادعى ما ادعى ، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فإنهم أهل كتاب ، فبعثوا جماعة إليهم ، فقالت اليهود : سلوه عن ثلاثة أشياء ، فإن أجاب عنها كلها أو لم يجب عن شئ منها ، فليس بنبى . . . الخ " .

وبالرجوع إلى سيرة ابن هشام وجدت الخازن ينقل عنه بمعناه ولكن لا يصرح بالنقل عنه . [٢]

سادساً : مصادره فى الفقه .

لم ينص الخازن – رحمه الله – على كتاب من كتب الفقه أخذ عنه، بل اكتفى بذكر أقوال لأبى حنيفة والشافعى فى بعض المسائل من خلال تفسيره .

مثال : قال الخازن فى تفسيره : " قال الشافعى : " لا أعلم فى الإسلام شيئاً أحل مم حرم ثم حل ثم حرم غير المتعة " . [٣]

سابعاً : مصادره فى اللغة والنحو والبلاغة .

لم ينص الخازن – رحمه الله – على كتاب من كتب اللغة أو النحو أو البلاغة أيضا ، لكنه ذكر فى تفسيره أقوالاً لبعض علماء اللغة ، مثل : الخليل وسيبويه ، والكسائى نقلاً عن غيره من المفسرين ، كالزمخشرى ، والقرطبى وابن عطية وغيرهم . [٤]

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣١١ .

(٣) انظر تفسير الخازن ج١ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(٤) أمثلة ذلك ص ٦٧ من هذا البحث .

المبحث الرابع
قيمة الكتاب العلمية

من خلال دراسة تفسير الخازن – رحمه الله – نستطيع أن نجمل أبرز المزايا التى ترسم الصورة الواضحة لهذا التفسير فى النقاط التالية :

(١) اهتمامه بما يتعلق بالعقيدة وموافقته لمذهب أهل السنة ويظهر ذلك جلياً واضحاً فى ترجيحه الدائم لمذهب أهل السنة على الفرق الأخرى .

(٢) اهتمامه بالتفسير بالرواية وإكثاره منه حتى ما تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من حديث عن النبى ﷺ ، أو أثر عن الصحابة أو التابعين رضى الله عنهم .

(٣) عنايته بالحديث النبوى الشريف ببيان حكمه وشرح غريبه وحل مشكلاته – إن وجدت – ودفع مايوهم التعارض من ذلك .

(٤) عنايته بآيات الأحكام وذكر خلاصة الحكم فيما يورده من المسائل دون التوسع غالباً فى التفريعات الفقهية والخلافات المذهبية .

(٥) اعتماده على أمهات كتب التفسير والقراءات والحديث والفقه ، واللغة ، ونقله لآراء جهابذة العلماء من المفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء ، وأهل اللغة كمجاهد ، وسفيان بن عيينه ، والزهرى ، والطبرى ، وابن الجوزى ، والرازى ، وأبى حنيفة ، والشافعي ، وغيرهم .

(٦) أن له تحقيقات علمية نافعة وجمعاً بين أقوال أهل العلم .

(٧) تتبعه لأقوال بعض المفسرين واعتراضاتهم ، والجواب عن هذا الاعتراض .

(٨) عنايته بذكر الفصول المتنوعة فيما يرى أن له تعلقاً بالآية وكأنه يرى أن هذه الفصول ليست من باب التفسير إنما هى من باب تمام الفائدة ، والحق أنها فصول علمية نافعة .

(٩) اعتناؤه بذكر بعض علوم القرآن كأسباب النزول ، وبيان الناسخ والمنسوخ ، وقد يعقد لذلك فصولاً . أما القراءات فلم يفصل فيها ، خلافاً لما عليه غيره من المفسرين .

(١٠) ومن أهم السمات التى تميز بها تفسير الخازن : وضوح الأسلوب وحسن الصياغة مع مراعاة الإيجاز وحسن الترتيب بعيداً عن لغة التعقيد والغموض . وهو فى ذلك كله يسير على منهج دقيق نص عليه فى مقدمته ؛ حيث يقول : " وسقته بأبلغ ماقدرت عليه من الإيجاز وحسن الترتيب ، مع التسهيل والتقريب . [١]

(١١) يذكر الشواهد الشعرية وأقوال العرب للتدليل على صحة المعانى التى أوردها أحياناً .

(١٢) اختياره تفسير معالم التنزيل للإمام البغوى المتوفى ٥١٦ هـ ، وانتخابه من غرر فوائده ودرر فوائده لما له من مكانة عالية بين التفاسير ، وما يظنه البعض من أنه اقتصر على تلخيصه واكتفى بنقل عبارته غير صحيح ، بل لقد زاد عليه فوائد وفرائد فى جوانب من العلم متعددة ، وله عليه بعض الملاحظات ، كما أنه حافل بالنقول الأخرى والتحقيقات وغير ذلك مما يتضح لمن يقلب صفحات التفسير .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تفسير البغوى تفسير بالرواية ، وتفسير

---

(١) انظر تفسير الخازن ج١ ص ٥ .

الخازن معدود ضمن التفسير بالدراية ، وأنه قد توافرت فيه الشروط التى لابد منها لإباحة التفسير بالرأى ، كما أنه قد اشتمل على جملة واسعة من الأحاديث والآثار .

أما أبرز المآخذ التى أخذت عليه فمنها :

١ – كان كثيراً ماينقل عن الواحدى فى كتاب أسباب النزول ، دون تمييز بين الصحيح والضعيف .

٢ – جمع الخازن أقوال العلماء فى تفسير الآية الواحدة أو جزء منها ، مع ترجيحه لبعض الأقوال وذكر الأدلة فى ذلك – أحيانا – وتركه بعض الأقوال دون عزو لقائلها أو مخرجها ، أو لم يبين ضعف أدلتها ، وهذا مما قد يؤخذ عليه فى تفسيره .

٣ – لم يكن الإمام الخازن – رحمه الله – فى إيراد الاسرائيليات فى تفسيره بدعاً من المفسرين فى ذلك السابقين منهم واللاحقين ، إذ قد سبقه إلى ذلك بعض المفسرين أمثال : ابن جرير الطبرى ، والثعلبى ، والواحدى ، والبغوى ، وابن عطية ، والقرطبى ، وأبى حاتم الرازى على قلة فى ذلك ، وغيرهم .

فكتب التفسير كثير منها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات وإن كان ذلك بتفاوت قلة وكثرة وتعقيباً عليها وسكوتاً عنها .

هذه بعض المآخذ التى تنسب للإمام الخازن ، ولا يعنى هذا أن الكتاب ليس له قيمة علمية بل هو من الكتب المشهورة عند العلماء .

أقوال بعض العلماء فى تفسير الخازن :

١ – قال الدكتور محمد أبو شهبة : " ومن حسنات هـذا الكتـاب ، عناية صاحبه بتخريج الأحاديث ، أى بيان من رواها من الأئمة فى كتابه ، مشيراً إلى صاحب الكتاب بالحرف تارة ، وذاكراً الاسم تارة ، ومالم يكـن فى الكتب المشهورة ، ورواه البغوى عزاه إليه ، وما أخذه البغـوى عـن الثعلبى بينه .

وقد امتلأ هذا التفسير كأصيله : تفسير البغوى ، وتفسـير الثعلبـى بالقصص ، والأخبار ، والإسرائيليات الباطلة ، ولا سـيما فـى قصـص الأنبياء ، وأخبار الأمم الماضية ، والفتن ، والملاحم ، وإن من الحـق أن نقول هنا : إن الخازن قد ينكر على بعض الإسرائيليات والموضـوعات ، ولا سيما ما يتعلق منها بالطعن فى عصمة الأنبياء ، وما يخـل بالعقيـدة الصحيحة بالإبطال والاطناب فى ذلك : كما فعل فـى قصـة الغرانيـق ، وقصة هاروت وماروت ، وداود ، وسليمان ، ونحوها .

كما أنه قد يذكر الكثير من الإسرائيليات المشـتملة علـى العجائـب والغرائب ، والتى لا يشهد لها نقل صحيح ، ولا عقل سـليم ، ولا يعقـب بتضعيف أو إبطال " . (١)

٢ – قال الزرقانى : " تفسير مشهور ، يعنى بالمأثور بيد أنه لايذكر السند ، وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ، ومن مزاياه أنه يتبـع القصة ببيان مافيها من باطل ؛ لئلا ينخدع بها غرٌ ولا يفتن جاهل " . (٢)

---

(١) انظر : الإسرائيليات والموضوعات لابن شهبة ص ١٣٩ .

(٢) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن ٢ / ٨٥ ، الشيخ محمد عبد العظـيم الزرقـانى ، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلى ، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤١٩ هـ .

٣ – وقال الدكتور محمد حسين الذهبى : وهو مكثر من رواية التفسير بالمأثور إلى حد ما ، معنى بتقرير الأحكام وأدلتها ، مملوء بالأخبار التاريخية ، والقصص الإسرائيلى الذى لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم . (١)

وقال أيضا : " وهكذا نجد هذا التفسير يطرق موضوعات كثيرة فى نواح من العلم مختلفة ، ولكن شهرته القصصية ، وسمعته الإسرائيلية ، اساءت إليه كثيراً ، وكادت تصد الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه !! ولعل الله يهيئ لهذا الكتاب من يعلق عليه بتعليقات توضح غثه من سمينه ، وتستخلص صحيحه من سقيمه . (٢)

٤ – وقال الدكتور رمزى نعناعة : " وعلى كل حال فموقف الخازن هذا خير من موقف غيره من المفسرين الذين ينقلون سقيم الروايات ويذرون صحيحها ، فيظن بعض من يقرؤها فى كتبهم أنها صحيحة . (٣)

وبالجملة : فتفسير الخازن لايقل شأناً عن جل التفاسير النافعة ، وإنه لحرى بالراسة والانتفاع به بدل التحذير منه والتنفير عنه ، والله أعلم .

أثر تفسير الخازن فيما بعده من التفاسير :

لم يشتهر تفسير الخازن كثيراً بين العلماء والمفسرين الذين أتوا من بعده ، غير ان بعض المفسرين قد أخذ منه بالفعل واستشهد بآرائه ومن هؤلاء :

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ١ / ٣١١ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٣١٦ .

(٣) انظر الإسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير ٣٢١ ، د . رمزى نعناعة ، الطبعة الأولى دار القلم ، دمشق ، ودار الضياء ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

أولاً : الإمام العجيلى الشافعى الشهير بالجمل فى كتابه " الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية " المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ ، حيث بين أنه استقى بعض مادته من تفسير الخازن ، وأشار إلى ذلك بالإحالة عليه بكتابه (خازن) عند الانتهاء من النقل عنه ، أو بالتنصيص على ذلك فى بداية النقل عنه .

مثال : قال الجمل فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [١] وعبارة الخازن : " الذى باركنا حوله " يعنى : بالأنهار والأشجار والثمار ، وقيل : سماه مباركاً ؛ لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الأنبياء قبل نبينا ﷺ ، وإليه يحشر الخلق يوم القيامة . [٢]

ثانياً : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى فى كتابه " روح المعانى " المتوفى ١٢٧٠ هـ بين أيضا أنه استقى بعض مادته من تفسير الخازن ، وأشار إلى ذلك بالتنصيص على ذلك فى بداية النقل عنه .

مثال : قال الالوسى عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [٣] قال فى تفسيره : " فى تفسير الخازن إنه الأصح على أن التسبيح على معناه الحقيقى ، فالكل يسبح بلسان الحال حتى الجمادات ، ولم يرتض ذلك الإمام لأن هذا التسبيح لا يحصل إلا مع العلم وهو مما يتصور

---

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) انظر : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ٤ / ٢٨٧ للإمام سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل ، ضبطه وصححه وخرج آياته الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ هـ وتفسير الخازن ٤ / ٦٧ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

فى الجماد لفقد شرطه العقلى . [١]

ثالثاً : محمد بن عبد الرحمن المباركفورى فى كتابه " تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى " المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ، بين أنه استقى بعض مادته من تفسير الخازن ، وأشار إلى ذلك بالتنصيص على ذلك فى بداية النقل عنه .

مثال : قال محمد المباركفورى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [٢] : قال الخازن : " تكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم : هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يفوت منه شئ إلا الدم ، وقال قوم : هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس ، وقال قوم : هو عرض ، وقال قوم : هو جسم لطيف يحيى به الإنسان ، وقيل الروح : معنى اجتمع فيه النور والطب والعلم والعلو والبقاء ، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات ، وإذا خرج منه ذهب الكل . وأقاويل الحكماء والصوفيه فى ماهية الروح كثيرة وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة . [٣]

رابعاً : محمد شمس الحق العظيم آبادى فى كتابه " عون المعبود

---

(١) انظر : روح المعانى ١٥ م ٨٣ – ٨٤ ، لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى ، الطبعة : بدون غحياء التراث ، بيروت ، وانظر تفسير الخازن ٤ / ١٠٧ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى ٨ / ٤٥٧ ، باب ومن سورة بنى اسرائيل ، محمد عبد الرحمن المباركفورى ، الطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، تاريخ النشر بدون ، وتفسير الخازن ٣ / ١٣٣ .

شرح سنن أبى داود " المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ .

مثال : قال محمد شمس الحق عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ [١] قال الخازن : " يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يامحمد من غير عذر ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ وهم المنافقون لقوله تعالى : ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعنى شكت قلوبهم فى الإيمان فهم فى ريبتهم يترددون يعنى أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين ، وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآيات فقيل إنها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ [٢] الآية . . . الخ . [٣] .

---

(١) سورة التوبة : آية ٤٥ .

(٢) سورة النور : آية ٦٢ .

(٣) انظر : عون المعبود شرح سنن أبى داود ٧ / ٣٢٤ - ٢٣٥ ، محمد شمس الحق العظيم أبادى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ م .

ثبت المراجع والمصادر

١ – ابن تيمية – حياته وعصره – آراؤه وفقهه – محمد أبو زهرة – الطبعة : بدون ، دار الفكر العربى ١٣٩٠ هـ .

٢ – ابن القيم الجوزية – عصره ومنهجه وآراؤه فى الفقه والعقائد والتصوف ، عبد العظيم عبد السلام شرف الدين ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، الكويت ١٤٠٥ هـ .

٣ – أحكام القرآن ، لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٤ – أسباب النزول ، للشيخ أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، دراسة وتحقيق الدكتور : السيد الجميلى ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٥ – إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم) أبو الفضل القاضى عياض بن موسى اليحصنى ، تحقيق : الدكتور يحيى إسماعيل ، الطبعة الثانية ، الندوة العالمية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٢٥ هـ .

٦ – الإسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير ، د . رمزى نعناعه ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ودار الضياء ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

٧ – الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، الشيخ الدكتور محمد ابن محمد أبو شهبة ، الطبعة الرابعة ، مكتبة السنة ، القاهرة ١٤٠٨ هـ .

٨ – الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب

والمستعربين ، والمستشرقين ، خير الدين الزركلى ، الطبعة الخامسة عشر ، دار العلم للملايين ، بيروت ٢٠٠٢ م .

٩ – البداية والنهاية ، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبـو الفـداء ، مكتبة دار المعارف ، بيروت .

١٠ – التفسير والمفسرون ، للدكتور : محمد حسين الذهبى ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

١١ – الجمع بين الصحيحين ، أبو محمد عبد الحق الإشبيلى ، اعتنى به : حمد بن محمد الغماس ، الطبعة الأولى ، دار المحقق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .

١٢ – الخازن ومنهجه فى التفسير ، يحيى بـن علـى فقيهـى ، رسـالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية ، إشـراف د . محمود بسيونى فوده ١٤٠٤ هـ .

١٣ – الدارس فى المدارس ، عبد القادر بن محمد النعيمـى الدمشـقى ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ هـ .

١٤ – الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علـى ابن حجر العسقلانى ، تحقيق ومراقبة : محمد عبد المعيـد خـان ، الطبعة الثانية ، مجلس دائرة المعارف : حيد أباد ، ١٣٩٢ هـ .

١٥ – الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى ، الطبعة : بدون دار المعرفة ، بيروت ، تاريخ النشر : بدون .

١٦ – الرسالة المستطرفة فى كتب السنة المشرفة ، محمـد بـن جعفـر الكتانى ، تحقيق : محمد المنتصر ، محمد الزمزمى الكتانى ، الطبعة

الرابعة ، دار البشائر الإسلامية : بيروت ١٤٠٦ هـ .

١٧ – الروض والحدائق فى تهذيب سيرة خير الخلائق ، ابى القاسم – محمد ﷺ – وما يضاف إليها من سيرة الخلفاء الأربعة الأئمة الراشدة " مخطوط غير مشهور " .

١٨ – السيرة النبوية لابن اسحاق ، وتهذيب محمد بن عبد الملك بن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة : كتاب التحرير ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

١٩ – العبر فى خبر من غبر ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٨٤ م .

٢٠ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ، د . على عبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الدمام ١٤٠٢ هـ .

٢١ – اللباب فى تهذيب الأنساب ، أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى ، الطبعة : بدون ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

٢٢ – المفسرون بين التأويل والأثبات فى آيات الصفات ، محمد عبد الرحمن المغراوى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٠ هـ .

٢٣ – المقفى الكبير ، تقى الدين المقريزى ، تحقيق : محمد البعلاوى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٤١١ هـ .

٢٤ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بـ " الخطط

المقريزية " الطبعة الثانية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧ م .

٢٥ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، الطبعة : بدون ، وزارة الثقافة ، مصر .

٢٦ - الوفيات ، محمد بن رافع السلامى ، أبو المعالى ، تحقيق : صالح مهدى عباس ، د . بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .

٢٧ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادى ، عني بتحقيقه وطبعه : محمد شرف الدين بالتقايا ، وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية ١٣٦٤ هـ .

٢٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، محمد إياس الحنفى ، حققها وكتب المقدمة : محمد مصطفى ، طبعة ثانية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢ هـ .

٢٩ - تاريخ علماء بغداد المسمى " منتخب الأخبار " ، أبو المعالى محمد بن رافع السلامى ، صححه وعلق حواشيه : عباس العزاوى ، طبعة الأهالى ، بغداد ١٣٥٧ هـ .

٣٠ - تحفة الأحوذى فى شرح صحيح الترمذى ، محمد عبد الرحمن المباركفورى ، الطبعة : بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣١ - تفسير البسيط ، للشيخ أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوى ، دراسة دكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٢٠ هـ .

٣٢ – تفسير البغوى المسمى " معالم التنزيل " للإمام الجليل أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٣٣ – تفسير الثعلبى المسمى " الكشف والبيان عن تفسير القرآن " ، أبى اسحاق أحمد بن محمد الثعلبى ، دراسة وتحقيق : أبو محمد بن عاشور ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ .

٣٤ – تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل " ، على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن ، ضبط : عبد السلام محمد على شاهين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٣٥ – تفسير الآلوسى المسمى " روح المعانى " ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى ، الطبعة : بدون ، إحياء التراث ، بيروت ، تاريخ النشر : بدون .

٣٦ – تفسير زاد المسير فى علم التفسير ، الإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ، طبعة : دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٣٧ – تفسير الطبرى المسمى " جامع البيان فى تفسير القرآن " ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، طبعة : بدون ، دار الجيل ، بيروت.

٣٨ – تفسير الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، الإمام سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل ، ضبطه

وصححه وخرج آياته : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦ هـ .

٣٩ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبى القاسم بن عمر الزمخشرى ، طبعة : مصطفى الحلبى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

٤٠ - تفسير التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الإمام فخر الدين الرازى ، طبعة : بدون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

٤١ - جامع الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، المكتبة الرشيدية ، دهلى ، الهند .

٤٢ - ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، للإمام أبى الطيب التقى الفارسى محمد بن أحمد الحسنى المكى ، تحقيق : محمد صالح بن عبد العزيز المراد ، الطبعة : الأولى ، مركز إحياء التراث الإسلامى ، مكة المكرمة ١٤١١ هـ .

٤٣ - سنن النسائى ، أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى ، المكتبة السلفية ، لاهور - باكستان .

٤٤ - سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسى ، الطبعة : التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .

٤٥ - شذرات الذهب ، ابن العماد عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير ، دمشق ١٤٠٦ هـ .

٤٦ – صحيح البخارى ، الإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، طبعة الشعب .

٤٧ – صحيح مسلم ، الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، المكتبة الرشيدية ، دهلى – الهند ١٣٧٦ هـ.

٤٨ – صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، بشرح محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ، طبعة : المصرية .

٤٩ – طبقات الشافعية ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضى شهبة ، تحقيق : د . الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

٥٠ – طبقات المفسرين للأدنة وى ، أحمد بن محمد الأدنة وى ، تحقيق : سليمان بن صالح الحربى ، الطبعة الأولى ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ١٤١٧ هـ .

٥١ – طبقات المفسرين للداودى ، شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ، راجعه : مكتبة عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٢ – عون المعبود شرح سنن أبى داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ م .

٥٣ – فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبى ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٥٤ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الإمام الحافظ أحمد بن على ابن حجر العسقلانى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٥ – كشف الظنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى ،

الطبعة : بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .

٥٦ – لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، تاريخ النشر : بدون .

٥٧ – مسند أحمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣١٣ هـ ، وأعيد تصويره فى المكتب الإسلامى ببيروت .

٥٨ – معانى القرآن ، لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار ، طبعة مصورة بالأوفست ، أصدرتها دار عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٨٠ م .

٥٩ – معانى القرآن وإعرابه ، لأبى إسحاق الزجاج ، تحقيق : إبراهيم الأبيارى ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣ م .

٦٠ – معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموى ، الطبعة : دار الفكر ، بيروت ، تاريخ النشر : بدون .

٦١ – معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، وضع عمر كحالة ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٦٢ – معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ، د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة : الأولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

٦٣ – منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، العلامة عبد القادر بن بدران ، تحقيق : زهير الشاوش ، الطبعة : الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٦٤ – مناهل العرفان فى علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، حققه واعتنى به : فواز أحمد زمرلى ، الطبعة : الثالثة ، دار الكتاب

العربى ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .

٦٥ - منتخبات تواريخ دمشق ، محمد أديب آل تقى الدين الحصنى ، قدم له : د . كمال سليمان الصليبى ، الطبعة : الأولى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

٦٦ - مختصر صحيح مسلم ، الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، للحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى الدمشقى ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٦٧ - من ذيول العبر ، للذهبى والحسينى ، تحقيق : محمد رشاد عبد المطلب ، راجعه : د . صلاح الدين المنجد ، وعبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، التراث العربى .

٦٨ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادى ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة فى مطبعتها البهية ، استنبول ١٩٥١ هـ .